

# حياة البرزخ في القرآن الكريم

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

اليمن - إب

[N712849505@gmail.com](mailto:N712849505@gmail.com)



## استهلال

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ

﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا

إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ

يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

[المؤمنون: ٩٧ - ١٠٠]

الإهداء

إلى الثُّلَّةِ المؤمَّنة القابضة على دينها كالقابض  
على الجمر، في زمن فتن الشبهات والشهوات،  
إلى المدافعين عن دين الله عزَّ وجل في مختلف  
الميادين والمجالات، إلى الذين اختاروا العمل مع  
الله تعالى في زمن قلَّ فيه الناصر والمعين،  
أهدي هدي هذا الكتاب؛ رجاء أن يُجيرني الله  
ووالدي ومن أحب، من عذاب القبر وفتنته، وأن  
يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة إلى يوم  
البعث والنشور.

# عبد الرقيب

### المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ {الأحزاب: ٧٠ - ٧١}، أما بعد:

فما استقر في عقيدة المسلمين أن الحياة البرزخية في القبور إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وقد جعل الله تعالى الحياة البرزخية فاصلاً بين الحياة الدنيا والآخرة، وقد جاء ذكر الحياة البرزخية في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ {المؤمنون: ١٠٠}، هي بمثابة محطة للوقوف والانتظار، يقف فيها من مات - معذباً أو منعماً - ريثما تنتقضي أعمار الناس في

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعا إلى الدار الآخرة حيث يجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته .

إن من مقتضيات عدل الله المطلق، ألا يترك هذا الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا، بدون حساب ولا عقاب، وأن تكون هذه الحياة هي نهاية المطاف، وآخر أمر هذا الإنسان، على رغم وجود الصالح والطالح في هذه الحياة الدنيا، ووجود المحسن والمسيء، ووجد الظالم والمظلوم، إن العقول السليمة، والفطرة القويمة، في هذه الحياة الدنيا، تقول للمحسن في أعماله وأفعاله وسلوكياته: أحسنت وتُجَازِيهِ على ذلك، وتقول للمسيء في كل ذلك: أسأت وتعاقبه على إساءته، فمن باب أولى أن يحاسب هذا الإنسان بعد موته على ما عمل في حياته الدنيا، وفي مقدمة ذلك مجازاته في حياته البرزخية استعدادا للمجازاة الكاملة في الحياة الآخورية الأبدية.

فلا بد أن يكون هناك موقف يقفه هذا الإنسان، ليحاسب على عمله، ويجازى على فعله، بعد انتهاء حياته الدنيا، فينتقل إلى الحياة البرزخية والتي هي بداية الحياة الأبدية، لينعم أو ليعذب؛ حتى قيام الساعة وعندها يُوفى الإنسان جزاءه العادل يوم القيامة، والذي يتم فيه العدل الكامل الذي لا ظلم فيه لأحد، وصدق الله القائل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا

فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ {فصلت: ٤٦}.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

إن إيمان المسلم بالحياة البرزخية، له أثر كبير في صلاح أفعاله ومعاملاته وسلوكه في حياته الدنيا التي تسبق حياته في البرزخ، إن هذا الإيمان يجعله يعمل لهذه الحياة، لتكون بالنسبة له روضة من رياض الجنة، لا حفرة من حفر النيران، وهذا الإيمان يدفعه لفعل الخيرات، والإكثار من الأعمال الصالحة، والإحسان للآخرين، وأن يكون مسلماً صالحاً في نفسه، ومصلحاً لغيره؛ حتى يفوز بالنعيم في حياته البرزخية، وخوفه من أن يكون قبره حفرة من حفر النار، إن هذا الإيمان يجعله من الذين يقفون عند حدود الله تعالى، ولا يتجرأ على فعل المعاصي والسيئات، ولا يقع فيما يغضب الله جلَّ وعلا، أو غير ذلك؛ فيعم الخير ويسود الأمن والأمان، على مستوى الأفراد، والمجمعات، وإنكار الحياة البرزخية في القبر - أو الشك فيها - يجعل العبد في العكس من ذلك.

إن الإخبار بالحياة البرزخية جاءنا بواسطة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وهما المصدرين اللذين لا يتطرق إليهما شك ولا احتمال؛ ذلك أن الحياة البرزخية في القبور، حياة في عالم الغيب، ولا يمكن إدراكها بالحواس، ولا تصورها بالعقول، والغيب يحيط بها من كل جوانبها، فلا طريق لنا لمعرفة حقيقة الحياة البرزخية إلا بالخبر اليقين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ورغم أهمية الإيمان بالحياة البرزخية إلا إنه وجد من ينكرها، في القديم والحديث، ولهم في ذلك شبهات، منها أن القرآن الكريم لم يتحدث عنها،

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وأن النصوص الواردة في ذلك تتعارض مع نصوص أخرى، ومنها معارضتها للحس والعقل، وهي دعاوى سنحاول مناقشتها والرد عليها لإثبات أن الحياة البرزخية في القبور- وما فيها من نعيم وعذاب - حقيقة أثبتها الشرع بنصوصه، وهي حقيقة لا تعارضها العقول، ولا ينكرها الحس.

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

اليمن - إب.

[N712849505@gmail.com](mailto:N712849505@gmail.com)

للتواصل، تلفون/ واتس ٧١٢٨٤٩٥٠٥

٦ جماد الأولى ١٤٤٣ الموافق ١٢/٩ / ٢٠٢١



### التعريف بمصطلحات الكتاب

#### الحياة في اللغة

قال ابن منظور: " ما بين سقوط الولد إلى وقت موته" <sup>(١)</sup>، وقال ابن فارس: " الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان <sup>(٢)</sup>."

#### الحياة في الاصطلاح

وقال الراغب الأصفهاني: " الحياة تستعمل للقوة النامية الموجودة بالنبات والحيوان، والقوة الحساسة ومنه سمي الحيوان حيوانا وللقوة العالمة العاقلة ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مِّنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ {الأنعام: ١٢٢} <sup>(٣)</sup>، وقال الجرجاني: الحياة الدنيا: هي ما يشغل العبد عن الآخرة <sup>(٤)</sup> قال المناوي: " الحياة في الأصل الروح وهي الموجبة لتحرك من قامت

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١ / ١١٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ٢ / ٩٧.

(٣) الراغب لأصفهاني، المفردات، ص ٢٦٨.

(٤) الجرجاني، التعريفات ١ / ١٢٧.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

به، وقال الحرالي الحياة تكامل في ذات ما أدناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انغراسه إلى حياة ما يدب بحركته وحسه إلى غاية حياة الإنسان في تصرفه وتصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل في علومه وأخلاقه" (١)

### البرزخ في اللغة

قال ابن سيدة: "البرزخ ما بين كل شيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿يَبْنِيهِمَا بَرْزَخٌ﴾ **لَا يَبْغِيَانِ** ﴿الرحمن: ٢٠﴾ يعني: حاجزا من قدرة الله، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، قبل الحشر، وبرزخ الأيمان: ما بين الشك واليقين (٢)، قال الراغب الأصفهاني: "البرزخ: الحاجز والحد بين الشيئين، ومنه وقوله تعالى: ﴿يَبْنِيهِمَا بَرْزَخٌ﴾ **لَا يَبْغِيَانِ** ﴿الرحمن: ٢٠﴾، وقيل: البرزخ ما بين الموت إلى القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ **يُبْعَثُونَ** ﴿المؤمنون: ١٠٠﴾. (٣)

---

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ١٣٢.

(٢) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم ٢ / ٣٨٠، بتصرف يسير.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص ١١٨، باختصار وتصرف يسير.

### البرزخ في الاصطلاح:

وقال ابن منظور: "والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ وقيل للميت: هو في برزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة،<sup>(١)</sup> وقال الجرجاني: "البرزخ العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة، والأجسام المادية، والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليها، وهو الحائل بين الدنيا والآخرة"<sup>(٢)</sup> وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ {المؤمنون: ١٠٠} "البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث"<sup>(٣)</sup> ، وقال رجل بحضرة الشعبي: رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة فقال : لم يصر من أهل الآخرة ولكنه صار من أهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الآخرة "<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ٨/٣، باختصار، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/ ٣٩.

(٢) الجرجاني، التعريفات ص ١٣، باختصار.

(٣) الفراء، معاني القرآن ٣/ ١٩٩.

(٤) تفسير القرطبي، ١٢/ ١٥٠.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في الحياة البرزخية

يعتقد أهل السنة اعتقاداً جازماً، بأن اليوم الآخر حق لا ريب ولا شك فيه، وأن الإيمان به ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به، وأن بداية اليوم الآخر تكون في الحياة البرزخية في القبور، فعن عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" (١)

فعقيدة المسلم تُوجب عليه أن يُقر بكل ما جاء عن الله عز وجل، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من أخبار عن عالم الغيب - الذي حجبته الله عنا- سواء قبلته عقولنا، أو لم تقبله، وسواء رضينا أم أبينا، إن موقفا المسلم تجاه ذلك السمع والطاعة، وهو مطالب بأن يؤمن باليوم الآخر، ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالحياة البرزخية، وما فيها من نعيم أو عذاب، وأن ذلك يستمر مع أهلها إلى قيام الساعة، وهذا ما عليه جماهير أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله: "مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات " القيامة الكبرى " وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف

---

(١) حديث حسن، رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٤٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٦٨٤).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قاطبة وأهل السنة والجماعة ؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

والذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط؛ بل القرآن قد بين في غير موضع النعيم والعذاب في البرزخ، وهو سبحانه وتعالى في السورة الواحدة يذكر " القيامة الكبرى " و " الصغرى " كما في سورة الواقعة فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى وأن

الناس يكونون أزواجا ثلاثة كما قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ

لِقَوْمِهَا كَاذِبٌ ۚ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ

بَسًا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ ۝٦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ ﴾ {الواقعة: ١ - ٧}،

ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت وأنهم ثلاثة أصناف بعد

الموت فقال: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۙ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۙ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۙ ۝٨٥ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۙ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ۙ ۝٨٧ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۙ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۙ ۝٨٩ وَأَمَّا إِنْ

كَانَ مِنَ الْأَعْيَابِ ۙ ۝٩٠ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنَ الْأَيْمَنِ ۙ ۝٩١ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۙ ۝٩٢ فَتَزُلُّ مِنْ حَمِيمٍ ۙ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ۙ ۝٩٤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ

الْيَقِينِ ۙ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۙ ۝٩٦ ﴾ {الواقعة: ٨٣ - ٩٦} فهذا فيه أن

النفس تبلغ الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجوعها وبين حال المقربين وأصحاب

اليمن والمكذبين حينئذ .

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وكذلك سورة " ق " ذكرت القيامتين: الصغرى والكبرى، قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت؛ فإن هذا مشهور لم ينازع فيه ولم يقل أحد: إن الموت باطل حتى يقال: جاءت بالحق، وقوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ فالإنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته وهذا كقوله:

﴿وَأَعِذُّرَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْقَيِّمُ﴾ {الحجر: ٩٩}، واليقين ما بعد الموت، وإلا فنفس الموت - مجرد عما بعده - أمر مشهور لم ينازع فيه أحد حتى يسمى يقينا.

وفي سورة القيامة: ذكر أيضا القيامتين فقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ أَلْقِيَمَةٍ﴾ {القيامة: ١} ثم قال: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ {القيامة: ٢} هي نفس الإنسان، وقد قيل: إن النفس تكون لوامة وغير لوامة وليس كذلك، بل نفس كل إنسان لوامة، فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا وإما في الآخرة فهذا إثبات النفس، ثم ذكر معاد البدن فقال:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ٢ ﴿بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ ٤ ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَّامُهُ﴾ ٥ ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ٦ {القيامة: ٣ - ٦} ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ {القيامة: ٢٥}، ثم ذكر الموت فقال ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

هناك: ﴿بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ﴾ والتراقي متصلة بالحلقوم، ثم قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يرقئها وقيل: من صاعد يصعد بها إلى الله ؟ والأول أظهر؛ لأن هذا قبل الموت فإنه قال: ﴿وَعِظْنَاهُ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيا يرقئه، والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء روحاني، والمراد أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي؛ ولهذا قال: ﴿وَعِظْنَاهُ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ثم قال ﴿وَالنَّفْسِ السَّاقِ بِالْسَّاقِ﴾ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها والعرض القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت، فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن وتُساق<sup>(١)</sup>

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٢)، باختصار، وتصرف.

### أحاديث نبوية دالة على عذاب القبر في الحياة البرزخية

الأحاديث النبوية الدالة على عذاب القبر في الحياة البرزخية كثيرة ومتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكثير منها في صحيح البخاري ومسلم وسنذكر طائفةً منها:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن "اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" (١)

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال" (٢)

وعن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة - ونحن معه - إذ جالت به فكادت تلقيه فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال من يعرف هذه القبور؟ فقال رجل أنا، قال: فمتى هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: "إن هذه الأمة

---

(١) صحيح مسلم برقم (٩٣٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩٢٤).



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

تبتلى في قبورها؛ فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه" ثم أقبل علينا بوجهه فقال: " **تعوذوا بالله من عذاب القبر**" قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: **تعوذوا بالله من عذاب النار** قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، قال: **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: **تعوذوا بالله من فتنة الدجال** قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال <sup>(١)</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: **"إنهما ليُعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله"**، ثم دعا بجريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال: **"لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"** <sup>(٢)</sup>

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فَسَمِعَ صَوْتًا، فقال: **يهود يعذبون في قبورهم**" <sup>(٣)</sup> وعائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتها ولم

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥١١٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢١١). وصحيح مسلم برقم (٤٣٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٢٨٦)، وصحيح مسلم برقم (٥١١٤).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أنعم أن أصدقها قالت: فخرجت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت علي فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: "صدق، إنهم يعذبون عذابا يسمعه البهائم كلها، فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر" (١) .

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٢).

### أحاديث نبوية دالة على السؤال في القبر في الحياة البرزخية

الأحاديث النبوية الدالة على سؤال القبر في الحياة البرزخية كثيرة ومتنوع - أيضا - نذكر طائفة منها:

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ {إبراهيم: ٢٧}{<sup>(١)</sup>}.  
وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما - أيضا - قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: "استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال: **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس**

---

(<sup>١</sup>) صحيح البخاري برقم (١٢٨٠).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الطيبة أخرجني إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول - الله عز وجل -: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول: له

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وما لي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ {الأعراف: ٤٠}، فيقول - الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ {الحج: ٣١} فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: له من ربك؟

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فيقول هاه هاه<sup>(١)</sup> لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: "ففي هذا الحديث أنواع من العلم: منها: أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن خلافاً لضلal المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافاً لضلال الفلاسفة، وأنها تعاد إلى البدن وأن الميت يسأل فينعم أو يعذب، وفيه أن عمله الصالح أو السيئ يأتيه في صورة حسنة أو قبيحة"<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قبر الميت أو قال أحكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر

---

(١) هاه هاه: هذه كلمة تقال في الإبعاد وفي حكاية الضحك، وقد تقال للتوجع، وهو الأليق بمعنى هذا الحديث، ينظر: ابن الأثير النهاية في غريب ٢٨٤ / ٥.

(٢) مسند أحمد برقم (١٨٥٥٧) وقال شعيب الأرنؤو: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٣) ابن تيمية مجموع، الفتاوى ١ / ٣٤٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان، نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" (١)

وقال العلامة ابن القيم: "إنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه: اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ {المؤمنون: ١٠٠} وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق، والغرق، وأكيل السباع والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل، أنه إذا حرق جسده بالنار، وصار رمادا، وذرى بعضه في

---

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٧١)، قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٩١).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

البحر، وبعضه في البر، في يوم شديد الريح، أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال خشيتك يارب، وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه <sup>(١)</sup>، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار، في مهاب الرياح، لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه، ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار، لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما، والهواء على هذا نارا وسموما فعناصر العلم ومواده منقادة لربها، وفاطرها، وخالقها، يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء أراد، بل هي طوع مشيئته، مذلة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته <sup>(٢)</sup>.

---

(١٤) يشير إلى حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن رجلا كان قبلكم رغبه الله مالا فقال لبنيه لما حضر أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته" رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٢١٩)، "رغبه الله مالا" أي أكثر له منه ونماه له، غريب الحديث، لابن الجوزي ٤٠٣/١.

(٢) ابن القيم، الروح، ص ٧٣.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

### نعيم القبر وعذابه، هل يقع على الروح والبدن، أم على أحدهما؟

مذهب جماهير أهل السنة والجماعة أن نعيم القبر وعذابه يقع على الروح والبدن بالكيفية التي يريدّها الله تعالى، قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين" (١).

وخالف الإمام ابن حزم جماهير أهل السنة في هذه المسألة، حيث يرى أن نعيم القبر وعذابه إنما يكون على الروح دون البدن، حيث قال رحمه الله: "فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك قبر أو لم يقبر، وجسد كل إنسان فلا بد من العود إلى التراب يوما ما كما قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ {طه: ٥٥}، فكل مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فإنه يعود رمادا أو رجيعا ويتقطع فيعود إلى الأرض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلى

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ٣٤٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

يوم القيامة، وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ؛ لأن الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثة وأحياناً ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن الذي قال الله فيه: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَ وَأُحْيَيْتَنَا أَتَيْنَ﴾ {غافر: ١١}، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء و﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ {البقرة: ٢٤٣} و﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ {البقرة: ٢٥٩}، وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {الزمر: ٤٢}، فصح بنص القرآن أن روح من مات لا يرجع إلى جسده إلا إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى عليه السلام قائماً في قبره يصلي ليلة الإسراء وأخبر أنه رآه في السماء السادسة أو السابعة <sup>(١)</sup> وبلا شك إنما رأى روحه وأما جسده فمواري بالتراب بلا شك.

---

(١) صحيح بن حبان برقم (٥٠)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وموضع كل روح يسمى قبراً فتعذب الأرواح حينئذ وتسأل حيث كانت، وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر؛ لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون، وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع، والغريق تأكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق، فلو كان لا عذاب إلا في القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مساءلة - ونعوذ بالله من هذا - بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون إلى الجنة أو النار<sup>(١)</sup>.

وقد تعقب الإمام ابن القيم هذا القول لابن حزم ورد عليه قائلاً: "ما ذكره أبو محمد فيه حق وباطل أما قوله: "من ظن أن الميت يحيا في قبره فخطأ" فهذا فيه إجمال، فإن أراد به الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ، والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص، وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسأل ويمتحن في قبره فهذا، حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله: **"فتعاد روحه في جسده"**<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ٤٣٩، باختصار وتصرف.

(٢) حديث صحيح: مسند أحمد برقم (١٨٥٥٧) وقال شعيب الأرناؤو: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ﴾ { غافر: ١١}، فلا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح في الجسد، كما أن قتل بني إسرائيل الذي أحياه الله بعد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمساءلة معتدا بها، فإنه يحيى لحظة بحيث قال فلان قتلني ثم خر ميتا، على أن قوله صلى الله عليه وسلم: "ثم تعاد روحه في جسده" لا يدل على حياة مستقرة، وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلق به، والروح لم تنزل متعلقة ببدنها وإن بلى وتمزق. وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينا، والثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، والثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه، والرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها التقات إليه البتة، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم<sup>(١)</sup>، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد يسلم عليّ؛ إلا ردّ الله عليّ روعي، حتى أُرَدَّ عليه السلام" صحيح أبي داود برقم (١٧٧٩).

وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {الزمر: ٤٢}، فإمساكه سبحانه التي قضى عليها الموت لا ينافي ردها إلى جسدها الميت في وقت ما ردا عارضا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا، وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة.

وأما أخبار النبي عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أجسادهم وأرواحهم، فإنهم أحياء عند ربهم، وقد رأى إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، موسى قائما في قبره يصلي، وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأجساد، فرأى موسى آدم ضربا طوالة كأنه من رجال شنوءة، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه.

ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم والأجساد في الأرض قطعا إنما تبعث يوم بعث الأجساد ولم تبعث قبل ذلك إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة كانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه مorte ثالثة، وهذا

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

باطل قطعاً ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم الله إليها بل كانت في الجنة، وقد صح عن النبي أن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو وهو أول من يستفتح باب الجنة<sup>(١)</sup>، وهو أول من تنشق عنه الأرض<sup>(٢)</sup> على الإطلاق لم تنشق عن أحد قبله، ومعلوم بالضرورة أن جسده في الأرض طرى مطراً، وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت فقال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"<sup>(٣)</sup>، ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب، وقد صح عنه أن الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام<sup>(٤)</sup>، وصح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال هكذا نبعث<sup>(٥)</sup>

---

(١) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك" صحيح مسلم (٢٩٢).

(٢) عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وببيد لي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" صحيح الترمذي برقم (٢٨٥٩).

(٣) ونص الحديث، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، يعني بليت فقال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" صحيح ابن ماجه برقم (٨٨٩).

(٤) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق، فلا يُصَلِّي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامة إلا

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء، وقد صح عنه أنه رأى موسى قائماً يصلى في قبره ليلة الاسراء ورآه في السماء السادسة أو السابعة<sup>(٢)</sup> فالروح كانت هناك، ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به، بحيث يصلى في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهي في الرفيق الأعلى

ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان وأنت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب وإن كان بينهما بعد المشرقين وتجد الروحين المتنافرتين المتاغضتين بينهما غاية البعد وإن كان جسدهما متجاورين متلاصقين، وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن فإنها تصعد إلى ما فوق السموات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل في مثله وكذلك صعودها وعودها إلى

---

أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك" صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٧) ..

(١) عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما وقال: "هكذا نبعث يوم القيامة" قال ضعيف الترمذي برقم (٣٦٦٩).

(٢) صحيح بن حبان برقم (٥٠)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

البدن في النوم واليقظة وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فإنها في السماء وشعاعها في الأرض"<sup>(١)</sup>.

فالذي عليه عامة أهل السنة والجماعة، هو إثبات عذاب القبر ونعيمة، وأنه واقع للروح والجسد معاً، بالكيفية التي يعلمها الله تعالى، وقد دلت على ذلك الأحاديث الثابتة الصحيحة، وقول الإمام ابن حزم في هذه المسألة مرجوح، وهو يقول: بإثبات عذاب القبر ونعيمه، خلافاً للفرق التي تتكر عذاب القبر ونعيمة بالمطلق، وهو ما سنشير إليه في المبحث الأخير من هذا لكتاب بإذن الله تعالى.

والمأمل في كتاب الله تعالى، يجد أن القرآن الكريم قد تحدث عن الأسباب الموجبة للعذاب في الحياة البرزخية في القبور، كما تحدث عن الأسباب المنجية، من ذلك، وهو ما سنتناوله، فيما سيأتي من مباحث هذا لكتاب.

---

(١) ابن القيم، الروح ص ٤٣.



### المبحث الأول: من أسباب عذاب القبر في الحياة البرزخية

هناك أعمال جسيمة وجرائم كبيرة، فعلها بعض الناس في حياتهم الدنيا، وماتوا وما تابوا إلى الله تعالى منها؛ فاستحقوا أن يعذبهم الله بها في حياتهم البرزخية في القبور، على ما توعدهم الله تعالى من العذاب الأليم في اليوم الآخر في نار جهنم، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض هذه الأسباب الموجبة للعذاب في الحياة البرزخية، في عدة مواضع منه، ونحن سوف نشير إليها، بحسب ما يقتضيه المقام، وسوف ينتظم الحديث عنها في ستة أسباب على النحو التالي:

#### السبب الأول: الكفر بالله تعالى

أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام داعيةً إلى فرعون وقومه، وكان فرعون قد بلغ درجةً عاليةً من الكفر والعناد، ولم يكتفِ بذلك حتى ادعى الربوبية، وقال لقومه - كما حكى الله عنه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ {النازعات: ٢٤}، ولم يستجب لدعوة نبي الله موسى - عليه السلام - فقد قذف الله الإيمان في قلب رجل من قومه، فقام منادياً في فرعون وملائه، فأصروا على كفرهم وعنادهم، ولم يستجيبوا لكل دعوات الإيمان التي وجهت لهم، عند ذلك عاجلهم الله بعقابه الأليم، فأغرق الله فرعون وملاءه في أليم، وعجل لهم العقوبة في حياتهم البرزخية في

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قبورهم، فهم يُعرضون على نار جهنم في الغدو والعشي، وفي يوم القيامة سيدخلهم الله العذاب الشديد في نار جهنم، كل ذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، وإعراضهم عن الإيمان بالله تعالى والاستجابة لرسوله، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا السبب في قوله تعالى: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ {غافر: ٤٥ - ٤٦}، قال الإمام ابن كثير عند هذه الآية: "هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، فقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تُعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ألما وأعظمه نكالا، وقال قتادة في قوله: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحا ومساء ما بقيت الدنيا، يقال لهم: يا آل فرعون، هذه منازلكم، توبيخا ونقمة وصغارا لهم، وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يُغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧ / ١٤٦، باختصار وتصرف، وينظر: تفسير ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٤ / ٤٠، تفسير أبي حيان، البحر المحيط ٩ / ٣٤

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾<sup>(١)</sup> والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، ما دامت الدنيا، كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قالوا: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال الفراء ومجاهد: أي في الغداة والعشي بمقادير ذلك في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٣)</sup> وهو الهاوية.<sup>(٤)</sup>

وقال الإمام الرازي - رحمه الله - عند هذه الآية: "احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر قالوا: الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا، وليس المراد منه يوم القيامة؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، وليس المراد منه أيضا الدنيا؛ لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا، فثبت أن

---

٢٦٢، تفسير القاسمي، محاسن التأويل ٨ / ٣١٢، وتفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٧٥ / ٤.

(١) تفسير القرطبي، الجامع الأحكام القرآن ١٥ / ٣١٩، وينظر: تفسير الشوكاني، فتح القدير ٤ / ٥٦٧.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة؛ وذلك يدل على ثبوت عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذ ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم؛ لأنه لا قائل بالفرق<sup>(١)</sup>.

وفي موطن آخر وأورد الإمام الرازي شبهات المنكرين لحياة البرزخ مستدلين بهذه الآية، وأجاب عنها حيث قال: "الشبهة الأولى: فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا، عرض النصائح عليهم في الدنيا؟ لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النا، والجواب: إنه في الدنيا عُرِضَتْ عليهم كلمات تذكرهم أمر النار، لا أنه يعرض عليهم نفس النار، فعلى قولهم يصير معنى الآية: الكلمات المذكرة لأمر النار كانت تعرض عليهم، وذلك يفضي إلى ترك ظاهر اللفظ والعدول إلى المجاز.

الشبهة الثانية: إن ذلك العذاب يجب أن يكون دائما غير منقطع، وقوله تعالى: ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ يقتضي أن لا يحصل ذلك العذاب إلا في هذين الوقتين، فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر، الجواب: لم لا يجوز أن يكتفي في القبر بإيصال العذاب إليه في هذين الوقتين، ثم عند قيام القيامة يلقي في النار فيدوم عذابه بعد ذلك،

---

(١) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣ / ٣٤٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وأيضاً لا يمتنع بأن يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله

تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٦٢) {مريم: ٦٢}.

**الشبهة الثالثة:** قولهم: إن الغدوة والعشية إنما يحصلان في الدنياه، أما في القبر فلا وجود لهما، **الجواب:** قلنا: لم لا يجوز أن يقال إن عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب؟ والله أعلم<sup>(١)</sup>.  
فالكفر بالله تعالى سبب من الأسباب التي يستحق من مات عليه أن يُعَجَّلَ الله لهم العذاب في حياتهم البرزخية في قبورهم، ويوم القيامة يدخلهم الله أشد العذاب.

---

(١) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب ١٣ / ٣٤٢، باختصار وتصرف، وينظر: تفسير ابن عادل، تفسير اللباب، ١٣ / ٤٩٩.

### السبب الثاني: الإعراض عن ذكر الله تعالى

ضمن الله تعالى، لمن آمن به، وتمسك بدينه، واتبع هداه، وأكثر من ذكره، أن يعيش حياة هانئة وسعيدة، في دنياه وأخراه، وفي المقابل، توعده الله تعالى من أعرض عن ذكره واتبع هواه، بالمعيشة الضنكة، التي سيعاني فيها من الضيق والشدة في دنياه وفي حياته البرزخية في القبر، ويحشر يوم القيامة أعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦) ﴿١﴾ طه: ١٢٤-١٢٦} و"الضنك" أصله في اللغة: الضيق والشدة، يقال: "ضنك عيشه يضنك ضنكة وضنكا" (١).

اختلف أهل التفسير في المراد بالمعيشة الضنكا التي جعلها الله تعالى لهؤلاء المعرضين عن ذكره: فقال بعضهم: المعيشة الضنك في الحياة الدنيا، وقد وصف الله عز وجل معيشتهم بالضنك؛ لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك، قال ابن عباس: المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها، قال

---

(١) ابن السمين الحلبي، الدر المصون ص ٣٣٤٠، وينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٨.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة، وقال آخرون: المعيشة الضنك في الحياة البرزخية، وهو عذاب القبر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ﴿مَعِيشَةٌ ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر<sup>(١)</sup>.

وقال آخرون: المراد بالمعيشة الضنك في الآخرة في جهنم؛ وذلك أن طعامهم فيها الضريع والزقوم، قال الحسن في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: في جهنم، وقرأ ابن زيد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ١٢٦ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ١٢٧ {طه: ١٢٤ - ١٢٧} قال: هؤلاء أهل الكفر، ومعيشتهم الضنك في النار فطعامهم من نار وهو والضريع والزقوم، وشرابهم من نار من وهو الغسلين، قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم<sup>(٢)</sup>

---

(١) أبو عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، برقم (٣٤٣٩)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي في التلخيص قائلًا: هو على شرط مسلم.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨ / ٣٩٠، وينظر: تفسير ابن الجوزي، زاد المسير ٤ / ٣٢٦، وتفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥ / ٣٢٤، وتفسير الرازي، مفاتيح الغيب ١٠ / ٤٨٣، و تفسير الألوسي، روح المعاني ١٢ / ٢٩٥، وتفسير السيوطي، الدر المنثور ٧ / ٤١، وتفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٥٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

ورجَّح الإمام الطبري رحمة الله أن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر في الحياة البرزخية، حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر؛ لأن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ {طه: ١٢٧}، فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة؛ لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ معنى؛ لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾، فإذا كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، وإذا كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار في معيشة ضنكا في حياته الدنيا وفي وجودنا كثيرا من أهل الكفر ممن وسَّع الله لهم في معيشتهم أكثر من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، مما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذا خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك وهو أن المعيشة الضنك إنما تكون في البرزخ"<sup>(١)</sup>.

---

(١) الطبري، جامع البيان ١٨ / ٣٩١، باختصار وتصرف، وينظر: معاني القرآن وإعرابه،



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

ورجح الإمام الشوكاني - كذلك - ، أن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر، فقال رحمه الله تعالى بعد أن ساق الأقوال الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ قال: "ومجموع ما ذكرناه في معنى المعيشة الضنكا يرجح تفسير المعيشة الضنك بعذاب القبر" (١).

ورجح العلامة ابن القيم - كذلك - أن المراد بالمعيشة الضنكا، عذاب القبر في الحياة البرزخية، قال رحمه الله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ "فسره غير واحد من السلف بعذاب القبر، وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر، ولهذا قال ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (١٢٦)

أي تترك في العذاب، كما تركت العمل بآياتنا، فذكر عذاب البرزخ وعذاب دار البوار والمقصود: أن الله سبحانه أخبر أن من أعرض عن ذكره - وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى - فإن له معيشة ضنكا، وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)

للزجاج ٣ / ٣٧٨ .

(١) الشوكاني ، فتح القدير ٥ / ٣٥ .

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

{النحل: ٩٧}، فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علما وعملا في العاجلة بالحياة الطيبة وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ ونسيانه في العذاب بالآخرة<sup>(١)</sup> ولإمام ابن القيم، رحمه الله، كلام آخر نفيسا حول هذه الآية حيث قال في كتابه "الجواب الكافي" في فصل ذكر فيه العقوبات المترتبة على المعاصي قال: "ومنها المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة. قال: وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي البرزخ ويوم المعاد. فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأوصاف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأمانى الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما تواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر. فإنه يفيق صاحبه، ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا

---

(١) التفسير القيم، لابن القيم ص ٣٧٥، باختصار، وينظر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٥١٥.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

لا يصحو صاحبه إلا في سكرات الموت، ولا تفر العين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله، قرت به كل عين. ومن لم تفر عينه بالله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {النحل: ٩٧}، فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح، الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، والحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين وهم أحياء في الدارين. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ {النحل: ٣٠}، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُٗ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ {هود: ٣}، ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين، فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته، من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة، هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن إليه، فقد كان بعض من ذاق هذه اللذة يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف، وقال آخر:

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم  
لفي عيش طيب، وقال آخر: إن في الدنيا جنة، هي في الدنيا كالجنة  
في الآخرة. من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي

جَحِيمٍ﴾ {الانفطار ١٣ - ١٤}، يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في

نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة

ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى

ومحبته والعمل على موافقته؟، وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب

السليم؟ وقد أثنى الله تعالى على خليله عليه السلام بسلامة قلبه فقال:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ {الصافات: ٨٣

- ٨٤} ، وقال حاكيا عنه أنه قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ {الشعراء: ٨٨ - ٨٩}، والقلب السليم هو الذي

سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة،

فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن

كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل

قاطع يقطعه عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد<sup>(١)</sup>.

وقال سيد قطب عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ {طه: ١٢٤}، والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر، الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولا وعرضا وعمقا وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان<sup>(٢)</sup>.

فالإعراض عن الله تعالى وعن ذكره سببا من أسباب عذا القبر في الحياة البرزخية، كما ذهب إلى ذلك أكثر أهل التفسير. فليحرص المسلم على الإكثار م ذكر الله تعالى بكل صوره وأنواعه؛ حتى يُبعده الله تعالى عن المعيشة الضنكا في حياته الدنيا، ويوم يدخل قبره في حياته البرزخية، ويوم لقاء ربه في عرصات القيامة.

---

(١) ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٣، باختصار وتصرف.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ٥ / ١٤١.

### السبب الثالث: النفاق

النفاق من الأمراض التي تفتك بصاحبها في الدنيا والآخرة وتورده موارد التهلكة والعذاب، فصاحب النفاق يعيش في دنياه في انفصام نكد بين ما يظهره للناس من اسلام وإيمان، وبين ما يبطنه من كفر ونفاق، فهو يعيش في دنياه بين نار النفاق والكفر، ونار الفضيحة وانكشاف أمره وظهور حقيقته لمن يحاول مخادعتهم بنفاقه، وإذا مات إنسان وهو مصر على نفاقه، يُعَجَّلُ الله له عقوبة فعله هذه في حياة البرزخ في قبره، وفي يوم القيامة يدخله الله الدرك الأسفل من النار، وقد ذكر القرآن الكريم أن النفاق من الأسباب الموجبة لعذاب صاحبها في حياته البرزخية، فقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ {التوبة: ١٠١}، وقال قال أهل التفسير في تفسيرهم لهذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ قال ابن عباس: مزينة، وجهينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون، منهم عبد الله بن أبي، وجد بن قيس، والجلال، ومعتب، وأبو عامر الراهب، قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة، ومعنى قوله تعالى: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أي: تجردوا

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

للفنفاق، ومنه: غصن أُمرد: لا ورق عليه، وغلَام أُمرد: لا شعر بوجهه، وأرض مرداء: لا نبات فيها، والمعنى: أنهم أقاموا على النفاق، أي ثبتوا عليه ثبوتاً شديداً، ومهروا فيه حتى خفي أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف سائر المؤمنين؟ والمراد عدم علمه صلى الله عليه وسلم بأعيانهم لا من حيث الجملة، فإن للنفاق دلائل لا تخفى عليه صلى الله عليه وسلم ﴿لَمَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْ أَوْدَانُهُمْ لَمَّا جَاءُوا اللَّهَ﴾ لمهارتهم في النفاق ورسوخهم فيه، على وجه يخفى على البشر، ولا يظهر لغير الله سبحانه لعلمه بما يخفى، وماتخفيه الضمائر وتتطوي عليه السرائر، ثم توعدهم سبحانه فقال: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ وفي المراد بالعذاب الذي سيلحق بالمنافقين أقوال:

**أحدها:** أن العذاب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قاله ابن عباس، **والثاني:** أن العذاب الأول: إقامة الحدود عليهم، والثاني: عذاب القبر، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، **والثالث:** الجوع في الدنيا، وعذاب القبر، رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال أبو مالك، **والرابع:** أن الأول: عند الموت تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثاني: في القبر بمنكر ونكير، قاله مقاتل بن سليمان، **والخامس:** أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قاله ابن زيد، **والسادس:** أن الأول: بالسيف، والثاني: عند الموت، قاله مقاتل بن حيان، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ يعني : عذاب جهنم <sup>(١)</sup> وقال الإمام الرازي: " مراتب الحياة ثلاثة: حياة الدنيا، وحياة القبر، وحياة القيامة، فقلوه: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر، ثم قال تعالى في آخر الآية: ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة، يعني النار المخلدة المؤبدة" <sup>(٢)</sup>.

وقد استعرض الإمام الطبري الأقوال الواردة في هذه الآية، ومال إلى ترجيح قول القائلين: إن المراد بأحد العذابين الذي سيصيب المنافقين قبل يوم القيامة، هو عذابهم في القبور في حياتهم البرزخية، حيث قال - رحمه الله تعالى -: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلاً نتوصل به إلى علم صفة ذنوب العذابين، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبأنا عنهم، وليس عندنا علم بأي ذلك من أي غير أن في قوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ دلالة <sup>(٣)</sup>

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ٣ / ٣٠٩، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير ٣ / ٢٢٦،،  
الماوردي، النكات والعيون ٢ / ١٣٨، القرطبي، الجامع الأحكام القرآن ٨ / ٢٤١.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ٨ / ١٣٢، باختصار.

(٣) والمعنى: ولا دلالة في الآية على تعيين أحد هذه الأقوال، وأيها هو المراد، وهذا تعبير يُورده الإمام الطبري كثيراً في تفسيره.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

على أن العذاب في المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار، والأغلب من إحدى المرّتين أنها في القبر<sup>(١)</sup>، فالنفاق سبب من أسباب عذاب القبر، فمن مات مصراً على النفاق عاجل الله له العذاب في حياته البرزخية، وتوعده في الآخرة بالدرك الأسفل من النار.

---

(١) الطبري، جامع البيان ١٤ / ٤٤٥، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٠٤.

### السبب الرابع: الذنوب الخطايا

أرسل الله تعالى نبيه نوحا عليه السلام داعيةً إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما، واستخدم معهم كل وسائل الدعوة المتاحة، لكنهم أعرضوا عنه وعن دعوته، ولم يستجب لدعوته الا القليل منهم، وخلال هذه الفترة لقي منهم ما لم يلقه أحد من أنبياء الله ورسله، حيث إنهم كذبوه وآذوه، وآذوا المؤمنين معه، واستمروا في ارتكابهم للخطايا والذنوب، كالشرك بالله تعالى، وعبادتهم للأصنام، فهددهم نوح بعذاب الله تعالى، إن لم يؤمنوا بالله تعالى ويستجيبوا لدعوته، فزادة سخريتهم منه ومن دعوته، ولما كثرة خطاياهم وذنوبهم، دعا عليهم نبي الله نوح عليه السلام بالهلاك، فاستجاب الله له دعوته، فأهلكهم الله بالغرق بالطوفان، ثم أدخلوا بعد ذلك مباشرة في عذاب البرزخ في قبورهم بسبب ذنوبهم وخطاياهم التي ارتكبوها في حياتهم الدنيا، على ما ينتظرهم من العذاب الأليم يوم القيامة.

وقد بيّن الله في كتابه الكريم أن من أسباب عذاب القبر في الحياة البرزخية، ارتكاب الخطايا والذنوب فقال تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا

{نوح: ٢٥}.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: "تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ وذلك من وجهين الأول: أن الفاء في قوله: ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ ، تدل على الترتيب والتعقيب وهى تدل على أنه حصلت تلك الحالة من العذاب عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء، التي تدل على الترتيب والتعقيب الثاني: أنه قال: ﴿فَأَدْخِلُوا﴾ على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنما يصدق لو وَقَعَ ذلك" (١).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ أي بعد إغراقهم، قال القشيري: وهذا يدل على عذاب القبر، ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلا أصابه ما يصيب المقبور من العذاب، قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ ، قال: يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة، فقد كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب، ومنكرو عذاب القبر، أولوا ذلك فقالوا: صاروا مستحقين دخول النار، أو عرضت عليهم أماكنهم من النار، وقالوا: يجوز أن تكون فاء الترتيب والتعقيب مستعارة للسببية؛ لأن المسبب كالمتعقب للسبب، وإن تراخى عنه لفقد شرط أو

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٦ / ٦٤ ، بتصرف، وينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٧ /

وجود مانع، وقالوا: وإنما عبّر عن ذلك بالفعل الماضي ﴿أُغْرِقُوا﴾ التي تفيد حصول الفعل ووقوعه لعدم الاعتداد بالفترة الزمنية التي بين الإغراق والإدخال فهي فترة قصيرة لا تكاد تذكر إذا ما قورنت بعذاب الآخرة، وتتكير النار إما لتعظيمها وتهويلها؛ أو لأنه عز وجل أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار، ولا يخفى ما في ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ من الحسن الذي لا يجارى، وفيه محسن الطباق؛ لأن بين النار والغرق المشعر بالماء تضاداً، وتقريع ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ تعريض بالمشركين من العرب<sup>(١)</sup>

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ "ما" مزيدة للتأكيد، قرأ الجمهور: ﴿خَطِيئَتُهُمْ﴾ على جمع السلامة والمعنى: من خطيئاتهم، أي من أجلها وبسببها أغرقوا بالطوفان ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ عقب ذلك، وهي نار الآخرة، قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة ناراً، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين وقيل المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَدْخِلُوا

---

(١) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ١٨ / ٣١١، وينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤ / ٦٢٠، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥ / ٢٥٠، والألوسي، روح المعاني ٢١ / ٣٢٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٩ / ٢١٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

نَارًا ﴿١﴾: عذاب القبر (١).

ورد الشيخ محمد ثناء الله العثماني المظهري على التأويلات التي أدخلها منكروا عذاب القبر على هذه الآية فقال: هذه الآية دليل على اثبات عذاب القبر؛ لأن الفاء للتعقيب والترتيب، وصيغة ﴿أَغْرَقُوا﴾ للمضي خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء الذين قالوا في تأويل هذه الآية: إنه أورد فاء التعقيب لعدم اعتداد لما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب، وصيغة الماضي؛ لأن المتيقن كالواقع قلنا: الأصل في الكلام الحقيقة وهذه التأويلات حمل على المجاز، فلا يجوز بلا دليل كيف وقد دلت من الأحاديث ما لا يحصى على عذاب القبر وانعقد عليه إجماع السلف (٢).

وقال الإمام الزمخشري: "تقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان، فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، وأكد هذا المعنى بزيادة "ما"، وقرئ: خطيئاتهم وخطاياهم، وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس، ويجوز أن يراد الكفر، فإن كفر قوم نوح كان واحدة

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ٣١٧ / ٧، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير ٧٩ / ٦، باختصار وتصرف.

(٢) محمد ثناء الله العثماني المظهري، التفسير المظهرى ص ٤٠٣٠، وينظر: أبي بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٥ / ٤٤٤، وينظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص ٤٣٣٦.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

من خطيئاتهم، وقد نعت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم، ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب، لئلا يتكل المسلم الخاطيء على إسلامه، ويعلم أن معه ما يستوجب به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فمن لقي الله بخطايا وذنوب ولم يتب منها في الدنيا، عذبه الله بسببها في حياة البرزخ في قبره، ثم يوفيه جزاءه يوم القيامة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٢٠، بتصرف.

### السبب الخامس: الظلم

لخطورة الظلم - بكافة أشكاله وألوانه - يُعَجِّلُ الله تعالى لهم عقوبة ظلمهم قبل يوم القيامة، وذلك بأن ينالهم قسطٌ من العذاب في حياتهم الدنيا، فتتألم فيها من المصائب والأوجاع والأسقام أو الجوع والقحط، وغير ذلك من أنواع العذاب - ثم ينالهم قسطٌ آخر من العذاب في حياتهم البرزخية في قبورهم، ثم يوفيههم الله بقية حسابهم وعذابهم يوم القيامة في نار جهنم، إن لم يتوبوا إلى الله تعالى من ظلمهم في الحياة الدنيا. وقد تحدث القرآن الكريم عن تعجيل العذاب للظالمين في حياتهم الدنيا، وفي حياتهم البرزخية، في موضعين منه، نتناولها على النحو التالي:

**الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**

**﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ**

**ذَلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ {الطور: ٤٥ - ٤٧}، قال الماوردي:**

المراد بالذين ظلموا ها هنا قولان: أحدهما : أنهم أهل الصغائر من المسلمين . الثاني : أنهم مرتكبو الحدود منهم<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الطبري اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعده الله به

هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ

---

(١) الماوردي، النكت والعيون ٤ / ١٨٤.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿٤٧﴾ يقول: " عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة، وقال قتادة: إن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿٤٨﴾ [سورة الطور: ٤٧] وقال بهذا القول البراء ابن عازب رضى الله عنه، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: الجوع، وقال ابن زيد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجراً وثواباً عند الله تعالى، وقرأ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ {التوبة: ٥٥}

قال الإمام الطبري والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عم فقال ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة،



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فتأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذابا من الله دون يوم القيامة

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم ذائقو ذلك العذاب.<sup>(١)</sup>

وأخرج عن أبي كريمة الكندي قال: تذاكرنا عذاب القبر، فقال زاذان: أو

ليس هو في كتاب الله، قالوا أين هو؟ قال قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا

دُونَ ذَلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال مقاتل المراد بقوله تعالى ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ

ذَلِكَ﴾ عذاب القتل يوم بدر، وهذا القول وروي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>

وقال الإمام الرازي: "الذين ظلموا هم أهل مكة، إن قلنا العذاب هو

عذاب يوم بدر، وإن قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام في

كل ظالم" <sup>(٤)</sup>.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الإمام الرازي، هو القول الراجح؛ لأن

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم في قواعد أهل

التفسير.

وقال الشنقيطي: "الظاهر أن قوله ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ هو ما عذبوا به في

دار الدنيا من القتل وغيره، لما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ

---

(١) الطبري، جامع البيان ٢٢ / ٤٨٦، وينظر: السيوطي، الدر المنثور ٧ / ٦٣٦، والألوسي،

روح المعاني ١٩ / ٤٦٨، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٨١٨.

(٢) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، ص ٢٤٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير ٥ / ٤٣٦.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب ١٤ / ٣٨٣.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ {السجدة: ٢١}،  
وقوله تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ {التوبة: ١٤} إلى  
غير ذلك من الآيات، ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك؛ لأنه قد  
يدخل في ظاهر الآية، وما قيل في معنى الآية غير هذا لا يتجه  
عندي، والعلم عند الله تعالى <sup>(١)</sup>.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ  
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا  
كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ {الأنعام:  
٩٣}، قال الإمام ابن القيم: فقول الملائكة: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ  
بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾، المراد  
به: عذاب البرزخ الذي أوله يوم القبض والموت، ونظيره قوله تعالى:  
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ  
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ {الأنفال: ٥٠}، فهذه الإذاعة هي في  
البرزخ، وأولها حين الوفاة فإنه معطوف على قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ  
وَأَدْبَارَهُمْ﴾ وهو من القول المحذوف مقوله؛ لدلالة الكلام عليه،

(١) الشنقيطي، أضواء البيان ٨ / ٣٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وكلاهما واقع وقت الوفاة والأحاديث في عذاب القبر تكاد تبلغ حد التواتر<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشوكاني: الخطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو لكل من يصلح له، والمراد كل ظالم، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله، والمدعون للنبوات - افتراء على الله - دخولا أوليا، والغمرات جمع غمرة: وهي الشدة، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه غمرة الماء، ثم استعملت في الشدائد، قوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التي وقعت فيها، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوا أنفسكم من أجسادكم، وسلموها إلينا لنقبضها ﴿أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي اليوم الذي تقبض فيه أرواحكم، أو أرادوا باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر، ﴿الْهُونِ﴾ أي اليوم تجزون عذاب الهوان الذي تصيرون به في إهانة ومذلة، بعدما كنتم فيه من الكبر والتعظيم، والباء في ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ للسببية، أي بسبب قولكم هذا من إنكار إنزال الله كتبه على رسله والإشراك به ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ

---

(١) ابن القيم، التفسير القيم ص ٣٧٦، باختصار.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

تَسْتَغْبِرُونَ ﴿١﴾ عن التصديق لها والعمل بها، فكان ما جوزيتم به من

عذاب الهون: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا ۝٦٦﴾ {النبا: ٢٦} " (١)

وقال الإمام الزمخشري، قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، يجوز أن يريدوا وقت الإمامة وما يعذبون به من شدة النزع، أو أن يريدوا الوقت الممتد المتطاوّل الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة (٢).

وقال الشيخ السعدي: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلّكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده، فهذه حالهم في البرزخ، وأما يوم القيامة، فإنهم يردوها مفلسين فرادى بلا أهل ولا مال، ولا أولاد ولا جنود، ولا أنصار، كما خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء " (٣)

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ٢ / ٤٤٦، باختصار.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢ / ١٤٣

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٦٤.

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَھُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٠﴾ {

الأنفال: ٥٠}، قال الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية: "ولو ترى يا

محمد، إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة، أي: يقبضون أرواحهم، قوله

تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَھُمْ﴾ اختلفوا فيه، قيل: هذا عند الموت

تضرب الملائكة وجوه الكفار ﴿وَأَدْبَرَھُمْ﴾ بسياط النار، وقيل: أراد

الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون، وجوههم

وأدبارهم، قال سعيد بن جبیر ومجاهد: يريد أستاذهم ولكن الله حيي

يكني، قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين

ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا

أدبارهم، وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون

أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي القتل، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قال ابن

عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت، وقال الحسن: هذا

يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ " (١)

وقال الشيخ أبو زهرة: "وعبر سبحانه وتعالى عن إصابة العذاب لهم

بقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ للإشارة إلى أن العذاب لا يكون إلا

---

(١) البغوي، معالم التنزيل ٢، للبغوي، ٢ / ٣٠١، باختصار وتصرف يسير.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

بالإحساس به، فهم في إحساس دائم به، يذوقونه ويحسون به، والتعبير بقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ لا يخلو من تهكم بهم؛ لأنهم فسقوا وذاقوا من الهوى ما ذاقوا، فكأنه يقال لهم: كما ذقتم المتع والشهوات، فذوقوا الحريق، وكأنه يبشرهم، وذكر ضرب الوجوه، وضم الأدبار إليهم تذكير لهم بشهوتهم التي كانوا منغمسين فيها وأنهم يضربون فيها، كما وقعوا في المفاصد بها والله تعالى أعلم.<sup>(١)</sup>

والمراد أنهم يجزون عذاب الهون في حياتهم البرزخية، والتي تبدأ من حين الموت، فقول ملائكة العذاب لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ يدل على الزمن الحاضر وهو بلا شك قبل يوم القيام، وهذا يدل على أن الظالمين يعذبون في قبورهم إلى يوم البعث والحساب.

---

(١) أبو زهرة، زهرة التفاسير ٦/ ٣١٥٩، باختصار.

### السبب السادس: الفسق

من عدل الله تعالى أنه لا يسوي في الدنيا بين أهل الإيمان، الذين آمنوا به واتبعوا رسله، وبين أهل الكفر والفسوق، الذين كفروا به وعصوه وسعوا في الأرض فسادا، وبناءً على ذلك يكون جزاء الفريقين مختلفا في الآخرة، فأهل الإيمان والأعمال الصالحة، أعد الله لهم الجنة في الآخرة لهم فيها ألوان النعيم المقيم، جزاء أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وأما أهل الكفر والفسوق الذين عملوا السيئات، فيُعجل الله لهم بعض العقوبات في الدنيا، وفي حياتهم البرزخية، وأما في الآخرة فمأواهم النار التي خالدين فيها أبدا، وقد تحت القرآن عن هذه القضية في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ۝١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝٢٠ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ {السجدة: ٢١}

سبب نزول هذه الآيات

عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق. فنزل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١﴾ قال: يعني بالمؤمن عليا، وبالفاسق

الوليد بن عقبة <sup>(١)</sup>.

وقد وقع خلاف بين أهل التفسير بالمراد بالعذاب الأدنى في قوله

تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾، هل المراد بالعذاب الأدنى في الدنيا أم في الحياة البرزخية

في القبور؟ ونحن سنذكر الأقوال في ذلك ونرجح ما نراه راجحا، إن شاء

الله تعالى.

القول الأول: قال أصحاب هذا القول: إن المراد بالعذاب الأدنى هو

عذاب مُعَجَّل في الدنيا وقد وقع لأهل مكة في زمان النبي صلى الله

عبيه وسلم، وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي

البطشة الكبرى <sup>(٢)</sup>، وقال بهذا القول قال ابن مسعود، وقتادة، قال

السدي: لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير،

---

<sup>(١)</sup> أسباب النزول ت للواحي ص ٣٦٣ وفي إسناده ضعف؛ لأن فيه محمد بن عبد الرحمن

بن أبي ليلى: قال عنه ابن حبان في كتابه المجروحين ٢ / ٢٤٤ كان رديء الحفظ كثير

الوهم فاحش الخطأ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٧٧ لأبي الفرج الأصبهاني في

كتاب الأغاني، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب وابن عساكر، وينظر: باب النقول في

أسباب النزول، للسيوطي ص ١٥٥-.

<sup>(٢)</sup> المراد بها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ {الدخان: ١٦}.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فأصيبوا أو غرموا، ومنهم من جمع له الأمران، وقال النخعي ومقاتل :  
أخذوا بالقحط والجذب بالجوع سبع سنين.<sup>(١)</sup>

وهناك قول آخر يرى أصحابه أن هذه الآية عامة وليست خاصة بأهل مكة وقالوا: إن المراد بـ ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ أنه مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، وقال بهذا القول أبي ابن كعب وابن، وأبو العالية، والحسن، وقتادة، والضحاك.

وقال ابن عباس: إن المراد بـ ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ الحدود التي تقام على أصحابها الذين ارتكبوا أعمالاً توجب إقامة الحدود عليهم.<sup>(٢)</sup>  
واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى، تعقيباً على هذه الآية بقوله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ورجحوا بذلك قراءة الجمهور ﴿يَرْجِعُونَ﴾ (بفتح الياء وكسر الجيم) قال القشيري: وقيل: إن المراد بـ ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾

---

(١) عن مسروق قال: كنا عند عبد الله ابن مسعود فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدباراً قال: "اللهم سبع سبع يوسف"، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝١٥﴾ [الدخان: ١٠ - ١٥]، فالبطشة يوم بد، صحيح البخاري برقم (٩٥٢)، وشرح صحيح مسلم، للنووي (١٧٦ / ٩)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير ٥ / ١١٧، وينظر: الماوردي، النكت والعيون ٤ / ٣٦٥، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٦٩، وابن عطية، المحرر الوجيز ٥ / ٢٨٥،

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

عذاب القبر؛ وفيه نظر، لقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال: ومن حمل العذاب على القتل قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يرجع من بقي منهم، ولا خلاف أن العذاب الأكبر عذاب جهنم<sup>(١)</sup>، وقال الإمام الشوكاني: "وفي هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال: إن العذاب الأدنى هو عذاب القبر<sup>(٢)</sup>

قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي لعلهم يتوبون، وقال ابن مسعود: لعل من بقي منهم يتوب، وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان، وقيل: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عاشور: "وجملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ استئناف بياني لحكمة إذاقتهم العذاب الأدنى في الدنيا بأنه لرجاء رجوعهم، أي رجوعهم عن الكفر بالإيمان، والمراد: رجوع من يمكن رجوعه وهم الأحياء منهم، وإسناد الرجوع إلى ضمير جميعهم باعتبار القبيلة والجماعة، أي لعل جماعتهم ترجع، وكذلك كان، فقد آمن كثير من الناس بعد يوم بدر وبخاصة بعد فتح مكة"<sup>(٤)</sup>

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٠٧، وينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٣ / ٢.

(٢) الشوكاني، فتح القدير ٩ / ٦.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير ٥ / ١١٧، وينظر: تفسير الماوردي، النكت والعيون ٤ / ٣٦٥.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١ / ٢٣٣.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

**القول الثاني :** قالوا المراد بـ ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ العذاب في القبر، وقال بهذا القول البراء بن عازب ومجاهد ابن جبر<sup>(١)</sup>، واستدل أصحاب هذا القول، بأن في الآية قراءة أخرى، بالبناء للمجهول ﴿يُرْجَعُونَ﴾ (بضم الياء وفتح الجيم)<sup>(٢)</sup> فوجب حمل معنى الآية على تمنى طلب الرجعة إلى الدنيا لمن هم في الحياة البرزخية، أو لمن يرون العذاب الذي أعده الله لهم في اليوم الآخرة، وهذه القضية أشار إليها القرآن في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿١١﴾ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ {المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠}، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَٰ نَارُ وَلَا نُنْكَدُ بِإِثْنَيْتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الأنعام: ٢٧} وممن أشار إلى هذا المعنى الإمام القرطبي حيث قال: "وقد قيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على قول مجاهد والبراء حيث قالوا: إن المراد بالعذاب الأدنى: عذاب القبر: أي لعلمهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ

---

(١) الطبري، جامع البيان ٢٠ / ١٩١، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٠٧، وابن الجوزي، زاد المسير ٥ / ١١٧، وابن عطية، المحرر الوجيز ٥ / ٢٨٥.

(٢) (يُرْجَعُونَ) قرأ يعقوب، بفتح الياء وكسر الجيم وغيره بضم الياء وفتح الجيم (يُرْجَعُونَ)، ينظر: عبد الفتاح القاضي، البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٨٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

صَلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿السجدة: ١٢﴾ فقولهم ﴿فَارْجِعْنَا﴾ أي إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي مصدقون بالبعث، قاله النقاش، وقيل: مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أنه حق، قاله يحيى بن سلام، فهذا اعتراف منهم، ثم طلبوا أن يردوا إلى الدنيا ليؤمنوا، قال سفيان الثوري: فأكذبهم الله تعالى: فقال ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ {الأنعام: ٢٨} ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ على البناء للمفعول<sup>(١)</sup>.

وأستدل السعدي بهذه الآية على المراد بالعذاب الأنى العذاب في الحياة البرزخية في القبور، حيث قال، قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالاتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجاً من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، ونذيقهم طرفاً منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ {الأنفال: ٥٠} ثم يكمل لهم العذاب

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٩٥، وينظر الزمخشري، الكشاف ٣ / ٥١٤.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الأدنى في برزخهم، فدل على أن ثَمَّ عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، الذي هو عذاب النار<sup>(١)</sup>

والذي يظهر أن المراد بالعذاب الأدنى هو كل عذاب يصيب الله به الكافرين والفاسقين، في الدنيا وفي حياتهم البرزخية، قبل أن ينالهم العذاب الأكبر يوم القيامة، وممن قال بهذا القول الإمام الشوكاني<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: "وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده أن يذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، والعذاب الأدنى: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم"<sup>(٣)</sup>.

على هذا يكون كل عذاب يصيب الله به الكافرين و الفاسقين قبل يوم القيامة هو من العذاب الأدنى، ويدخل فيه عذابهم في حياتهم البرزخية في القبور، والآية القرآنية تحتل ذلك كما ذكرنا سابقاً، والله أعلم.

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٦٥٦، وينظر: الزمخشري، الكشاف ٣ / ٥١٤. بتصرف واختصار.

(٢) الشوكاني، فتح القدير ٦ / ٩.

(٣) الطبري، جامع البيان ٢٠ / ١٩١.

### السبب السابع: جملة من الأعمال السيئة

وقد جاء ذكرها مجتمعة في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وتشتمل على، الكذب، ترك العمل بالقرآن، الزنا، أكل الربا، ففي صحيح البخاري، قال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب ، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا صلى صلاة، أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يوما، فقال: "هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين، أتاني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم ، بيده كلوب<sup>(١)</sup> من حديد، قال بعض أصحابنا، عن موسى: إنه يدخل ذلك الكلوب في شذقه، حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشذقه الآخر، مثل ذلك، ويلتئم شذقه هذا، فيعود، فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق، فانطلقنا، حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر، أو صخرة فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا، حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟ قالوا: انطلق، فانطلقنا إلى

---

(١) الكُّلُوب: بالتشديد حَدِيدَةٌ مُعَوَّجَةٌ الرأس، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٩٥/٤.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

ثقب مثل التنور<sup>(١)</sup> أعلاه ضيق، وأسفله واسع، يتوقد تحته نارا، فإذا اقترب، ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟ قالوا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر، بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج، رمى الرجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج، رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة، بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ، وشباب، ونساء، وصبيان، ثم أخرجاني منها، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا، هي أحسن، وأفضل، فيها شيوخ وشباب، قلت: طوفتmani الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالوا: نعم، أما الذي رأيته، يشق شذقه، فكذاب، يحدث بالكذبة، فتحمل عنه، حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب، فهم الزناة، والذي رأيته في النهر، آكلوا الربا، والشيخ في

---

(١) التنور: موضع تدفن فيه النار حتى تَحْمَدَ، ابن منظور، لسان العرب ١٦٥/٣.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أصل الشجرة، إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت، دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار، فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقى مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك " (١).

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٩٧)، باختصار يسير.



### المبحث الثاني: أسباب النجاة من عذاب القبر في الحياة البرزخية

هناك أعمل صالحة حرص أصحابها على اكتسابها في حياتهم الدنيا، وجاهدوا أنفسهم لنيلها والحصول عليها، فاستحقوا أن يكرمهم الله تعالى في حياتهم البرزخية، بأن ينجيهم من العذاب فيها، وفي الآخرة سيدخلهم الجنة في درجاتها العالية، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم بعض الأعمال الصالحة المنجية من العذاب في الحياة البرزخية، ونحن سوف نذكرها في هذا المبحث، وسينتظم الحديث عنها في أربعة أسباب على النحو التالي:

### السبب الأول: الإيمان بالله تعالى

المؤمن الذي يثبت على دينه في هذه الحياة - رغم تعرضه للفتن والمحن، أو بسبب تعرضه للترغيب والترهيب - وعاش في دنياه معتصماً بحبل الله تعالى، يكرمه الله تعالى بأن يثبتته في الحياة الأخروية، وتبدأ رحلة ثبات المؤمن في حياته البرزخية؛ بأن يوفقه الله للإجابة عن أسئلة القبر الخالدة، من ربك؟ مدينك؟ من نبيك؟ ثم يثبتته الله مرة أخرى يوم القيامة، بأنه إذا سئل في عرصات يوم القيامة عن دينه ومعتقداته فإن الله يثبتته بالجواب السديد فلا يتلعثم أو يتحير في الجواب، وفي المقابل

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

يضل الله الظالمين في آخرتهم، فإذا سئلوا في قبورهم وأخرتهم عن دينهم ومعتقدهم ورسولهم قالوا: لا ندري فيضلهم الله عن الجواب، كما ضلوا في الدنيا عن الإيمان به سبحانه وتعالى، وقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم إلى ذلك، وبين أن الإيمان من أسباب ثبات العبد في دنياه وفي حياته البرزخية، وفي اليوم الآخر فقال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ {٢٧} {إبراهيم: ٢٧}.

قال أهل التفسير: "هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتثبيتته إياهم على الحق، فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يثبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، معنى ﴿ءَامَنُوا﴾، أي بالتوحيد الخالص فوحده ونزهوه عما لا يليق بجنابه سبحانه، وقوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان أحدهما: أن ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زمن المساءلة في القبور؛ لأن الموتى لا يزالون في قبورهم في الدنيا حتى يبعثوا، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس ابن كيسان، وقتادة، فيثبتهم الله بالقول الثابت والصواب عند السؤال في قبورهم، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، وزاد شعبة ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر<sup>(١)</sup>، والمراد: أنهم إذا سئلوا عن معتقدتهم ودينهم أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ولا تردد ولا جهل، كما يقول: من لم يوفق: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت بمقتضاها.

الثاني: أن ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، زمان الحياة على وجه الأرض قال قتادة: أما ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، و﴿الْآخِرَةَ﴾: زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وإنما فسروا الآخرة ههنا بالقبر؛ لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة، والقبر أول منازل الآخرة، ولهذا التثبيت في القبر بالقول الثابت تقرير عقلي، وهو أنه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا إله إلا الله وعلى التأمل في حقائقها ودقائقها أكمل وأتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل، قال ابن عباس: من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبتته الله عليها في قبره ويلقنه إياها<sup>(٢)</sup>

---

(١) صحيح برقم (١٢٨٠).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير ٢٩ / ٤، وينظر: ابن كثير، القرآن العظيم ٥٠٠ / ٤، الرازي،

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قال الإمام أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في معنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله <sup>(١)</sup> وتثبيتته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup>.

قال الإمام العلامة ابن القيم: "فما مُنِحَ العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، والقول الثابت: هو القول الحق الصادق، وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم، ويوم معادهم، فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

---

مفاتيح الغيب، ٩ / ٢٤٧، الشوكاني، فتح القدير ٤ / ١٤٥، الألوسي ، روح المعاني ٩ / ٣٦٢.

(١) ونص الحديث في ذلك، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ { إبراهيم: ٢٧ } صحيح البخاري برقم (١٢٨٠).

(٢) الطبري، جامع البيان ١٦ / ٦٠٢، بتصرف يسير.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

﴿٢٧﴾ {إبراهيم: ٢٧}، فتحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمعرفة وحسن استخراجها واقتناؤه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم؛ وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبتته الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ {الإسراء: ٧٤}، وقال له: ﴿وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ {هود: ١٢٠}، وقال تعالى لأكرم خلقه بعد رسله وهم صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ {الأنفال: ١٢}.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فأثبت الناس قلبا: أثبتهم قولاً، وكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبَيُّتًا﴾ {النساء: ٦٦}؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أبغض الناس وأخبثهم وأكثرهم تلونا، وأقلهم ثباتاً<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ص ٣٤٦، بتصرف واختصار.

قال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: "إن الله تعالى يثبت عباده بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة، ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول؛ وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب، فلا يزالون عن دينهم إذا فتتوا في دينهم كنبى الله زكريا ويحيى، واصحاب الأخدود وخبیب وأصحابه واصحاب بئر معونة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يعنى إذا سئلوا في القبور، ومعنى تثبتت الذين آمنوا بها، أن الله يسر لهم فهم الأقوال الإلهية على وجهها وإدراك دلائلها ولم يخامرهم فيها شك فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزين وعاملين بها غير مترددين، ذلك في الحياة الدنيا ظاهر، وأما في الآخرة فبالقائهم الأحوال على نحو مما علموه في الدنيا، فلم تعترهم خوف ولا ندامة، ويكون ذلك بمظاهر كثيرة يظهر فيها ثباتهم بالحق قولاً وانسياقاً، وتظهر فيها فتنة غير المؤمنين في الأحوال كلها.

ومعنى: ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ القول الذي يقوم على دعائم الحق، ولا يتزلزل

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

لباطل، ويصح أن نقول: إن الثبات صفة لصاحب القول، وأضيفت إلى القول؛ لأنه لا يثبت القول إلا بثبات صاحبه الذي لا تزلزله بواعث الهوى ولا أوهام الشيطان.

إن القول الثابت كما يشمل الصبر في العقيدة يدخل في عمومه الثبات على الحق في نصيحة الحاكم، والامتناع عن قول الباطل مداهنة له، ويقول للحاكم الظالم: اتق الله، ويكررها كلما اقتضت الحال قولها في غير موارد، إلا إذا كانت الحكمة أن يداري لأجل إيصال الحق إلى قلب الحاكم، وتسويغه في نفسه، فللقول سياسة، وللعلم سياسة، ومنها تسويغ الحق ليهضم معناه، وخصوصا في أزمان الفساد، وما ضيع المسلمين إلا سكوتهم عن القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ بظلمهم وشركهم وبعدهم عن النور الهادي، واضطرابهم في تيه الظلمات والأوهام والخرافات، واتباعهم مناهج وشرائع من الهوى لا من اختيار الله، يضلهم وفق سنته التي تنتهي بمن يظلم - ويعمى عن النور ويخضع للهوى - إلى الضلال والتهيه والشرود، ووصفهم بالظالمين، فيه إشارة إلى أنهم يبدؤون بالسير في طريق الظلم الذي يشمل الظلم في الاعتقاد بالإشراك، والظلم للنفس بارتضاء طريق الشر، والظلم للناس في معاملاتهم، وفتنة الناس في دينهم وإيذائهم في اعتقادهم.

﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ بإرادته المطلقة، التي تختار الناموس، فلا تنقيد

به ولكنها ترضاه، حتى تقتضي الحكمة تبديله فيتبدل في نطاق المشيئة،

(١)

ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة رحلة الثبات التي يوفق الله لها عباده المؤمنين، وفي الجانب الآخر جولة الخذلان التي تحل بالظالمين، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: استعيزوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال: ان العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كف من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٤ / ٤٠١، وينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، ٨ / ٤٠٢٣، المظهري، تفسير المظهري ٥ / ٢٦٨، وتفسير ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٣ / ٢٢٦.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول - الله عز وجل -: اكتبوا كتاب عبادي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء: أن صدق عبادي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول: له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وما لي.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فترق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ {الأعراف: ٤٠}، فيقول - الله عز وجل -: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ {الحج: ٣١} فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: له من ربك؟ فيقول هاهاه<sup>(١)</sup> لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟

---

(١) هاهاه: هذه كلمة تقال في الإبعاد وفي حكاية الضحك، وقد تقال للتوجع، وهو الأليق

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة<sup>(١)</sup>،

فمن أراد الثبات في الحياة وبعد الممات عليه أن يعمل على تثبيت قواعد الإيمان وشعبه في قلبه ونفسه، وأن تظهر عليه آثاره، قولاً باللسان، واعتقاداً بالجنان، وعملاً بالجوارح والأركان.

---

بمعنى هذا الحديث، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب ٥ / ٢٨٤.

(١) مسند أحمد برقم (١٨٥٥٧) وقال شعيب الأرنؤو: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

### السبب الثاني: الشهادة في سبيل الله تعالى

القتال في سبيل الله تعالى طريق العزة والكرامة، فبه يُصد العدوان، وتسترد الحقوق المغتصبة من قبل المعتدين، وبه تُصان حرمان الإسلام والمسلمين؛ لهذا لما قدم الشهداء أنفسهم رخيصة ابتغاء مرضاة الله تعالى ونصرة دينه، استحقوا بذلك أن يعاملهم الله تعالى معاملة خاصة، في حياتهم البرزخية، بأن بنجيهم الله تعالى من عذاب القبر وفتنته، ويجعلهم أحياء يرزقون من ثمار الجنة، وقد جعل الله تعالى هذا النوع من النعيم، خاص بالشهداء دون سائر الناس، ولا يمكن لأحد أن يعرف حقيقة هذه الحياة؛ لأنها من عالم الغيب.

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ﴾ {البقرة: ١٥٤}، قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾: أي: لا تقولوا: هم أموات، فان قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي؟ فالجواب: إن المعنى: لا تقولوا: هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تتال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتا من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الأنباري<sup>(١)</sup>

وقال الإمام القرطبي رحمة الله عليه: "وقد اختلف العلماء في حياة الشهداء في قبورهم، فالذي عليه المعظم أن حياة الشهداء محققة، ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون، وقال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي يجدون ربحها وليسوا فيها، وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة. وهو كما يقال: ما مات فلان، أي ذكره حي، كما قيل:

موت التقي حياة لا فناء لها ... قد مات قوم وهم في الناس أحياء  
فالمعنى أنهم يرزقون الشيء الجميل، وقال آخرون: أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون، وهذا هو الصحيح من الأقوال؛ لأن ما صح به النقل فهو الواقع، وحديث ابن عباس<sup>(٢)</sup> نص يرفع الخلاف، وكذلك حديث ابن مسعود خرج مسلم<sup>(١)</sup>،

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير ١/ ١٤٥، باختصار.

(٢) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل، الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتركوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ {عمران: ١٦٩} ينظر: مسند أحمد بن حنبل برقم (٢٣٨٨) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وأما من تأول في الشهداء ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ بَلْ  
أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾، أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده  
القرآن والسنة، فإن قوله تعالى ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ دليل على حياتهم، وأنهم  
يرزقون ولا يرزق إلا حي؛ ولأن حياة الشهداء في البرزخ من حياة الآخرة  
فقد أخفى الله سبحانه عنا تفاصيلها؛ لهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ لَا  
تَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾، وما دمنا لا نشعر بها فلا بد أن تكون حياة أعلى من  
حياتنا الدنيوية" (٢) .

وقال الإمام الألوسي: "واختلفوا في هذه الحياة، فذهب كثير من السلف  
إلى أنها حقيقة بالروح والجسد ولكن لا ندركها في هذه النشأة، واستدلوا  
بسياق قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ { آل عمران : ١٩٦ } وبأن  
الحياة الروحانية التي ليست بالجسد ليست من خواصهم فلا يكون لهم  
امتياز بذلك على من عداهم، وذهب البعض إلى أنها روحانية، وكونهم

---

(١) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن  
أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل  
معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعه، قال: ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا، وأي  
شيء نبغي، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ ثم عاد إليهم بمثل هذا، فلما رأوا أنهم  
لا يتركون من أن يسألوا، قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا، فنقاتل في سبيلك، حتى  
نقتل فيك مرة أخرى؛ لما يرون من ثواب الشهادة -فيقول الرب جل جلاله: إني كتبت أنهم  
إليها لا يرجعون" ينظر: صحيح مسلم برقم (١٨٨٧).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٧٠، باختصار وتصرف.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

يرزقون لا ينافي ذلك، فقد روي عن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا، وعندي أن الحياة في البرزخ ثابتة لكل من يموت من شهيد وغيره، وأن الأرواح وإن كانت جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن لكن لا مانع من تعلقها ببدن برزخي مغاير لهذا البدن الكثيف، وليس ذلك من التناسخ الذي ذهب إليه أهل الضلال، وإنما يكون منه لو لم تعد إلى جسم نفسها الذي كانت فيه والعود حاصل في النشأة الجنانية بل لو قلنا بعدم عودها إليه والتزمنا العود إلى جسم مشابه لما كان في الدنيا مشتمل على الأجزاء النطقية الأصلية أو غير مشتمل لا يلزم ذلك التناسخ أيضا؛ لأنهم قالوه على وجه نفوا به الحشر والمعاد، وأثبتوا فيه سرمدية عالم الكون والفساد، وأن أرواح الشهداء يثبت لها هذا التعلق على وجه يمتازون به عن عداهم، إما في أصل التعلق أو في نفس الحياة بناء على أنها من المشكك لا المتواطئ، أو في نفس المتعلق به مع ما ينضم إلى ذلك من البهجة والسرور والنعيم اللائق بهم، والذي يميل القلب إليه، أن لهاتيك الأبدان شبيها تاما صوريا بهذه الأبدان، وأن المواد مختلفة والأجزاء متفاوتة إذ فرق بين العالمين، وشتان ما بين البرزخين<sup>(١)</sup>

---

(١) الألويسي، روح المعاني ٢ / ٦٤، باختصار.

وقال الإمام الطبري: "فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ {البقرة: ١٥٤}، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعلم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة يشمون منها رُوحها، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافرين أنهم يُفتح لهم من قبورهم أبواب إلى النار ينظرون إليها، ويصيبهم من ننتها ومكروها، ويُسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة، حذرًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار، وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الذي حُصَّ به القتل في سبيل الله، مما لم يعلم به سائر البشر غيره من الحياة وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ؟ قيل: إن الذي حَصَّ الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطعمها الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه، فذلك هو الفضيلة التي فضّلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أفادَ المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠} (١) وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٧١﴾ بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم، بعد سلب أرواحهم؛ لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر بحسب ما يبلغ إليه علمكم الذي هو بالنسبة إلى علم الله كما يأخذ الطائر في منقاره من ماء البحر ، وليسوا كذلك في الواقع، (٢) .

وما أحسن ما سطره يراع سيد قطب في ضلاله حول هذه الآية.. !!، حيث قال: " إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، فالذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس - هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتا، إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات، لا يجوز أن يعتبروا أمواتا في الحس والشعور، ولا أن يُقال عنهم أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه، إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه

---

(١) الطبري، جامع البيان ٣ / ٢١٦، باختصار يسير.

(٢) الشوكاني فتح القدير ١ / ٢٠٤ بتصرف، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ /

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

النظرة السطحية الظاهرة، إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود، وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة ، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقيين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم ما يزالون عنصرا فعالا دافعا مؤثرا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء أولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس .

ثم هم أحياء عند ربهم - إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه . وحسبنا إخبار الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء، أحياء ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء، أحياء فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء، أحياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاضمها الأمر، ولا يهولونها عظم الفداء، ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه (١).

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ١ / ١١٤، باختصار يسير.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وقد وردت أحاديث نبوية عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن الشهيد في سبيل الله تعالى يؤمنه الله في حياته البرزخية من عذاب القبر وفتنته، فعن معدان عن المقدام بن معدي كرب الكندي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ان للشهيد عند الله عز وجل قال الحكم ست خصال، أن يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويامن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه"<sup>(١)</sup> وممن يرجى أن ينجوا من عذاب القبر في حياة البرزخ من وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم شهداء ممن لم يستشهدوا في أرض المعركة وكان موتهم بسبب آخر غير القتل في سبيل الله تعالى، فعن جابر بن عتيك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم

---

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي برقم (١٦٦٣)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وينظر: مسند أحمد ابن حنبل، برقم (١٧٢٢١) وقال عنه شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش فقد اضطرب فيه

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد " (١).

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا

تَشْعُرُونَ﴾ دليل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه، ولا اعتداد بخلاف

من خالف في ذلك، فقد تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة، ودلت عليه

الآيات القرآنية، فاللهم قنا فتنة القبر وعذابه، واختم لنا بالشهادة في

سبيلك - بعد ظل عمر وحسن عمل -

---

(١) صحيح أبي داود، برقم (٣١١١).

### السبب الثالث: جملة من الأعمال الصالحة

وقد جاء ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعة في حديث واحد، وتشمل على الصلاة والصيام والزكاة والصدقات، وفعل الخيرات، والصلة وبذل المعروف للناس، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الميت إذا وضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعرف والإحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجله فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعرف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب فيقال له: رأيته هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي فيقولون: إنك ستفعل أخبرني عما نسألك عنه رأيته هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟" قال: "فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها فيزداد

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

غبطة وسرورا ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا، وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدأ منه فتُجعل نسمة في النسم الطيب وهي طير يعلق في شجر الجنة، فذلك قوله

تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٧﴾ {إبراهيم: ٢٧}

وإن الكافر إذا أتى من قبل رأسه لم يوجد شيء، ثم أتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أتى من قبل رجله فلا يوجد شيء فيقال له: جلس فيجلس خائفا مرعوبا فيقال له: رأيته؟ هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقال: الذي كان فيكم فلا يهتدي لاسمه حتى يقال له: محمد فيقول: ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس، فيقال له: على ذلك حبيب وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورا ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنكة التي

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

قال الله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ {طه: ١٢٤}

١٢٤ {١}

---

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣١١٣). بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

### السبب الرابع: قراءة سورة الملك

هناك سورة كثيرة في كتاب الله تعالى لها فضائل متعددة ومتنوعة، ومن هذه السور التي لها فضائل، سورة الملك، ومن فضائلها أن من داوم على قراءتها، في يومه وليلته وقاه الله تعالى عذاب القبر وفتنته، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر"<sup>(١)</sup>، وجاء عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {الملك: ١} حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي المانعة، هي المنجية تتجيه من عذاب القبر"<sup>(٢)</sup>، وعن عبد الله بن مسعود رضي

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م برقم (١١٤٠).

(٢) سن الترمذي برقم (٢٨١٥)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الألباني معلقاً على هذا الحديث، هذا حديث ضعيف، وإنما يصح منه قوله: "هي المانعة...".



الله عنه - أيضا - قال: "يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب"<sup>(١)</sup>.

فليحرص المسلم على قراءة هذه السورة المباركة، علّها أن تكون من أسباب نجاته من عذاب القبر.

---

(١) مستدرک الحاكم، برقم (٣٨٣٩)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٤٧٥).

## المبحث الثالث: الفرق المنكرة للنعيم والعذاب في الحياة

### البرزخية، شبهات وردود

بُليت الأمة الإسلامية، في تاريخها القديم والحديث، بظهور فرق وحركات تنتسب للإسلام، عملت على تشكيك الأمة في قرآنها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وجعلت من العقل حاكماً عليهما، وبالتالي عملت على تشكيك أبناء الأمة الإسلامية في بعض معتقداتها، التي تلقتها الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل، دون اعتبار للقواعد الشرعية والأصول المرعية، وهي مع ذلك جادة في نشر شبهاتها والعمل على تقرير أصولها، وطرح معتقداتها بين أبناء المسلمين .

ومعظم هذه الفرق خالفت جماهير المسلمين، في مسائل تتعلق بأصول الدين وثوابته، ولو كان الاختلاف معها في المسائل الفرعية، وكان خلافهم ناتجاً عن بحث واجتهاد وتحقيق واتباع للدليل من الكتاب السنة، لكانوا معذورين في ذلك، ولكنهم أعرضوا عن هذا النوع من الخلاف، وخالفوا جماهير المسلمين في الأصول المجمع عليها، وفي بعض الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وقدموا المعقول على المنقول، وجعلوا العقل حاكماً على النقل المعصوم من أدلة الكتاب وصحيح السنة.

قال ابن قتيبة رحمه الله - في بيان أن نوع الخلاف مع هذه الفرق في الأصول وليس في الفروع - "ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا، كما اتسع لأهل الفقه، ووقعت لهم الأسوة بهم، ولكن اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي عذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى" (١).

وقال الإمام ابن تيمية: "ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر، ونعيمه، فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: "من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه (٢)، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته؛ فيضرب بمرزبة (٣) من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب،

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص ١٥، باختصار وتصرف يسير.

(٢) هاه هاه: هذه كلمة تقال في الإبعاد، وقد تقال للتوجع، وهو الأليق بمعنى هذا الحديث، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٨٤.

(٣) المرزبة: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢١٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً<sup>(١)</sup>، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق<sup>(٢)</sup>.

ومن أشهر هذه الفرق التي خالفت جماهير المسلمين في مسائل عقديّة مهمة، فرقتي الخوارج<sup>(٣)</sup> والمعتزلة وسوف نتناول في هذا الكتاب موقفهما وعقائدهما في الحياة البرزخية، وإنما وقع اختيارنا على هاتين الفرقتين دون غيرها<sup>(٤)</sup> لأسباب:

---

(١) الغُرْلُ: جمع الأعْرَل وهو الأَقْلَف والغُرْلَةُ القُلْفَةُ، ينظر: ابن الأثير، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٦٢ .

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى، ١٤٥/٣، باختصار.

(٣) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: خارجياً؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان، وأطلق على أولئك نفر، الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١١٣.

(٤) ومن الفرق التي أنكرت عذاب القبر فرقة الجهمية، قال الإمام أبو حنيفة النعمان: "من قال لا اعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة؛ لأنه انكر قوله تعالى: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧] يعني في القبر" ينظر: أبو حنيفة النعمان، الشرح الميسر على الفقهاء الأبسط والأكبر ص ١٣٧، لكن على ما يبدو أنها فرقة محدودة التأثير، وأن أتباعها أقل من أتباع الطائفتين السابقتين؛ وتأثير أفكارها في الحياة المعاصرة محدود، إن لم تكن تتبنى أفكار الطائفتين السابقتين؛ لذلك لم نتحدث عنها.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أولاً : مخالفتهم الصريحة للثوابت والمسلمات .

ثانياً :عظم فتنتهم وتأثيرهم البالغ في أوساط أبناء المسلمين قديماً وحديثاً.

ثالثاً: وجد لهم الكثير من التلاميذ في حياتنا المعاصرة، فقد تتلمذ الكثير ممن جاء بعدهم على كتبهم وتبعوا منهجهم.

وفي هذا الكتاب سوف نستعرض عقائد هاتين الفرقتين في الحياة البرزخية، وسوف نذكر شبهاتهم التي اعتمدوا عليها في انكار الحياة البرزخية، وسنرد عليها بحسب ما يقتضيه المقام؛ حتى يحذر المسلم من الإغترار بهما، أو التأثر بشبهاتهما، وسوف ينتظم الحديث في هذا المبحث في مطلبين على النحو التالي:

### المطلب الأول: الخوارج، وشبهاتهم في إنكار النعيم والعذاب الحياة البرزخية

أنكرت الخوارج الحياة البرزخية، وما فيها من نعيم وعذاب في القبر، ولم يلتفتوا إلى ما جاء فيها من أحاديث صحيحة التي تؤكد ثبوتها ووجودها (١).

قال الإمام ابن حجر: "نفى ( عذاب القبر ) مطلقا الخوارج وخالفهم في ذلك جميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له (٢).  
وخالفوا في ذلك إجماع الصحابة والتابعين في هذه المسألة، كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري (٣)، وممن نقل الإجماع في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية (٤).

وقال الآمدي: " وقد اتفق سلف الأمة - قبل ظهور الخلاف وأكثرهم بعد ظهوره - على إثبات إحياء الموتى في قبورهم، ومساءلة الملكين لهم

---

(١) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ٢ / ٣١٨، وينظر: ابن حزم الظاهري، الملل والأهواء والنحل، ٤ / ١١٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤ / ٤٤٣، باختصار.

(٣) أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة ص ١٤ .

(٤) ابن تيمية، الفتاوى ١ / ٣٤١٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وتسمية أحدهما منكرا والآخر نكيرا، وعلى إثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين<sup>(١)</sup>.

وممن تابع الخوارج في مذهبهم في العصر الحديث - واعتمد على شبهاتهم في إنكار الحياة البرزخية - فرقة تسمى بالقرآنيين<sup>(٢)</sup>، وقد تزعم التكذيب بالحياة البرزخية في القبور في العصر الحديث زعيم الطائفة في مصر أحمد صبحي منصور، وقد ذكر ذلك في كتاب له سماه "عذاب القبر والثعبان الأقرع" أصدره سنة ١٩٩٤، وقد كتب فيه مقالات عديدة منها مقال "أكذوبة عذاب القبر" قال فيه . بعد أن ساق عددا من الأحاديث التي ذكرت عذاب القبر-: "فهذه الروايات وضعت لإرهاب الناس وإذلالهم للخضوع لرجال الدين الخاضعين للحكام، فيستغلوا هذه الروايات لإخضاع أعناق المسلمين وترهيبهم فقط دون أن يكون هناك ترغيب وهداية وتذكير وبشرى لمآرب يرجونها"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) نعمان بن محمود الألوسي، لآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٨٨.

(٢) القرآنيون: هم فرقة ظهرت في مصر عام ١٩٧٧ م، تأخذ بالقرآن دون السنة بزعمهم، وهم ينكرون أحوال البرزخ، والشفاعة، للمؤمنين يوم القيامة، وغير ذلك، ينظر: القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم، علي محمد زينو، الناشر: دار القبس، دمشق، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. ص ٥٧.

(٣) أحمد صبحي منصور، عذاب القبر والثعبان الأقرع، الناشر: مكتبة مدبولي، ٢٠١٥ م مصر، ص ٢١، والكتاب موجود على شبكة الانترنت.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

إن الخوارج والقرّانيين<sup>(١)</sup> ينكرون عذاب القبر ونعيمه في الحياة البرزخية، ويعتمدون في ذلك على شبهات أوجدوها في آيات قرآنية، وظنوها تثبت شبهاتهم التي تبنيوها، والحقيقة أن تلك الآيات القرآنية جاءت في سياق الحديث عن موضوعات أخرى - وليست كما يزعمون بأنها تنفي وجود الحياة البرزخية - فهي إما تتحدث عن أهل الكفر، وتشبيههم بالموتى في عدم انتفاعهم بالمواعظ والآيات، وإما تتحدث عن حال أهل النار، وندمهم على المصير الذي وصلوا إليه بسبب كفرهم بالله تعالى، أو تتحدث عن نعيم أهل الجنة وما من الله تعالى عليهم به من نعيم لا يعقبه موت، والمتأمل في الشبهات التي تبنيوها لإنكار عذاب القبر ونعيمه في الحياة البرزخية يجدها تنحصر أربع شبهات رئيسية، وسوف ينتظم الحديث عنها على النحو التالي:

---

(١) والأولى أن يسمو بمنكري السنة، وفي تسميتهم بالقرّانيين شرفاً لهم لا يستحقونه، وإلا فمن آمن بالقرآن يلزمه الإيمان بالسنة؛ لأنها الشارحة له والمبينة.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

**الشبهة الأولى: ذكر الله حياتين وموتتين للناس ولم يذكر الحياة**

### البرزخية

واستدلوا على هذه الشبهة بقوله تعالى . حكاية عن أهل النار أنهم

قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ

سَبِيلٍ ۖ ﴾ { غافر: ١١ }، قال الإمام ابن حزم وقد احتج من أنكره (

أي عذاب القبر) بقول الله تعالى بقوله الله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا أَثْنَيْنِ

وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ۖ ﴾ { غافر: ١١ }

{ ١١ }، حيث قالوا: إن الله تعالى ذكر حياتين وموتتين للناس، ولم يذكر

الحياة والموت لأهل القبور <sup>(١)</sup>.

وقد أورد الإمام الرازي شبهات القائلين بعدم وجود حياة في القبور

مستدلين بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ ﴾ { غافر: ١١ }

{ ١١ }، ورد عليها حيث قال رحمه الله: " إن هذه الآية تدل على المنع من

حصول الحياة في القبر ( على رأي منكري الحياة البرزخية) وبيانه أنه لو

كان الأمر كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها: في الدنيا ،

وثانيها: في القبر، وثالثها: في القيامة، والمذكور في الآية ليس إلا

حياتين فقط، فتكون إحداهما الحياة في الدنيا والحياة الثانية في القيامة

والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا، وللجواب على

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٤٣٩.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

هذه الشبهات نقول: وأما قولهم ظاهر الآية يمنع من إثبات حياة في القبرة إذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث مرات لا مرتين، فالجواب عليه من وجوه: الأول: هو إن مقصودهم (أي مقصود أهل النار؛ لأن هذه الآية تحكي مقولة أهل النار وهم فيها) تعديل<sup>(١)</sup> أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الأولى، والحياة في القبر، والموتة الثانية، والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة، فأما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء والمحنة فلهذا السبب لم يذكرها الثاني: لعلمهم ذكروا الحياتين: وهي الحياة في الدنيا، والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها الثالث: لعلمهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا بل بقوا أحياء، إما في السعادة، وإما في الشقاوة ، واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من أرادهم الله بالاستثناء في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ {الزمر: ٦٨}.<sup>(٢)</sup>

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "أخبر سبحانه عما يقولون في النار، فقال: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ {غافر: ١١}، المراد بالإماتتين: أنهم كانوا نطفًا لا حياة لهم في أصلاب آبائهم ، ثم

---

(١) لعل الصواب: تعديل؛ لأنها تتناسب مع السياق.

(٢) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب ٣٠٨/١٣، باختصار وتصرف.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا، والمراد بالإحياءتين: أنه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا، ثم أحياهم عند البعث، وقيل: معنى الآية: أنهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا، ثم أحياهم الله في الآخرة، وحجة أصحاب هذا القول: أن الموت سلب الحياة، ولا حياة للنطفة، وحجة القول الأول: أن الموت قد يطلق على عادم الحياة من الأصل، وقد ذهب إلى تفسير الأول جمهور السلف<sup>(١)</sup>، وقال ابن زيد: المراد بالآية: أنه خلقهم في ظهر آدم، واستخرجهم، وأحياهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : "وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا أَتَيْنَ وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنِ﴾ { غافر : ١١ }، فلا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح في الجسد، كما أن قتل بني إسرائيل الذي أحياه الله بعد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمساءلة معتدا بها، إنما أحياه الله لحظة بحيث قال فلان قتلني ثم خر ميتا، على أن قوله صلى

---

(١) الطبري، جامع البيان ٢١ / ٣٦٠، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير ٥٨ / ١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٣٣.

(٢) الشوكاني، فتح القدير ٦ / ٣١٣، باختصار وتصرف يسير.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الله عليه وسلم: " فتعاد روحه في جسده " <sup>(١)</sup> لا يدل على حياة مستقرة، وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلقها به، والروح لم تنزل متعلقة ببدنها وإن بلى وتمزق <sup>(٢)</sup>

وما استدلووا به - على شبهتهم - في هذا السياق بقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ {البقرة: ٢٨}، قال الإمام أبو حيان: " وقد استدل بقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ {البقرة: ٢٨} على نفي عذاب القبر؛ لأنه ذكر تعالى موتتين وحياتين، ولم يذكر حياة بين إحيائهم في الدنيا وإحيائهم في الآخرة، وقد أجاب أبو حيان على هذه الشبهة قائلاً: إنه لا يلزم من عدم ذكر هذه الحياة للمسألة عدمها قبل، وأيضاً، فيمكن أن يكون قوله: ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ هو للمسألة، ولذلك قال: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، فعطف بثم التي تقتضي التراخي في الزمان، والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التي للبعث، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هي للمسألة في القبر، وفي قوله تعالى:

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم (١٨٥٣٤)، وقال شعيب الأرناؤو: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح

(٢) ابن قيم الجوزية، الروح ص ٤٣، بتصرف يسير.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ دليل على اختصاصه تعالى بذلك، ودليل على النشور والحشر قال الحسن: ذكر الموت مرتين هذا لأكثر الناس، وأما بعضهم فقد أماتهم ثلاث مرات، مثل الذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها و الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت<sup>(١)</sup>.

" إن الإيمان بحياة الأموات في قبورهم لا يقتضي مساواة حياتهم في البرزخ بحياتهم في الدنيا، بل هي حياة خاصة قدرها الله سبحانه لهم، وعليه فلا يلزم ما قاله المنكرون لعذاب القبر ونعيمه من أنه لو كان الأموات منعمين أو معذبين للحقهم الموت مرة ثانية إذ ذلك لا يلزم إلا في حال تساوي الحياتين، فليس في القبر حياة وموت كالحياة والموت المعروف في الدنيا، بل يخلق الله تعالى نوع حياة يدرك به اللذة والألم بسبب انعكاس الروح على الجسد، ومنشأ هذا الخلط عند منكري عذاب القبر هو ظنهم أن الموت هو عدم محض لا يشعر معه صاحبه بشيء وهذا ما تردده النصوص الشرعية من الكتاب.

---

(١) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٢١٢ / ١، باختصار وتصرف يسير.

الشبهة الثانية: لو كانت في القبر حياة، لما نفى الله عن الموتى

### سماع الأصوات

واستدلوا على هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾ {النمل: ٨١}، حيث قالو: إن الله تعالى نفى في هذه الآية عدم سماع الأموات، ولو كان لهم حياة في قبورهم لما نفى الله عنهم السماع.

يمكن الجواب على هذه الشبهة باختصار بان يُقال لأصحابها: إن المراد با السماع المنفي عن الأموات هو السماع الذي ينتفع به صاحبه، وليس المراد نفى جميع السماع عنهم، وفي الآية مثل مضروب وضحه الإمام الطبري بقوله: "هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه، قال قتادة: هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ فلو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما سمع<sup>(١)</sup> وقال الإمام القرطبي: "﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ يعني الكفار لتركهم التدبر، فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل، وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن، ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون"<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه فإن هذا مثل ضرب للكفار والكفار تسمع الصوت لكن لا تسمع سماع قبول بفقهه واتباع كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ {البقرة: ١٧١}، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع المعتاد، كما لم ينفي ذلك عن الكفار؛ بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا ينفي عنهم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الطبري جامع البيان ٢٠ / ١١٧، باختصار.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٣٢.

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية ١ / ٣٤٩، باختصار وتصرف.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وقد رد الشيخ الشنقيطي على هذه الشبهة بكلام نفيس نثبته هنا لنفاسته، قال رحمه الله تعالى: "اعلم أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ لا يصح فيه من أقوال العلماء إلا تفسيران :

الأول: أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى: أي لا تسمع الكفار، الذين أمات الله قلوبهم، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى وانتفاع؛ لأن الله كتب عليهم الشقاء، فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم الوقر، وعلى أبصارهم الغشاوة، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع، ومن القرائن القرآنية الدالة على ما ذكرنا أنه جل وعلا قال بعده: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾

تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ {النمل: ٨١}، فاتضح بهذه القرينة أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى: أي الكفار إسماع هدى وقبول للحق ما تسمع ذلك الإسماع، إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، فمقابلته جل وعلا بالإسماع المنفي في الآية عن الموتى بالإسماع المثبت فيها لمن يؤمن بآياته، فهو مسلم دليل واضح على أن المراد بالموت في الآية: موت الكفر والشقاء لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ مفارقة الروح للبدن لما قابل قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ بقوله: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ﴾



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

بَيَّاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾، بل لقابله بما يناسبه كأن يقال: إن تسمع إلا من لم يمت: أي يفارق روحه بدنه كما هو واضح .

وإذا علمت أن هذه القرينة القرآنية دلت على أن المراد بالموتى هنا الأشقياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وقبول، فاعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ { الأنعام: ٣٦ }، وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم <sup>(١)</sup> أن المراد بالموتى في قوله: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ الكفار، يدل له مقابلة الموتى في قوله: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ بالذين يسمعون في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ويوضح ذلك قوله تعالى قبله ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِغَتْ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمُ بَيَاتِيَّةً ﴾ { الأنعام: ٣٥ }، أي فافعل، ولو كان يراد بالموتى من فارق أرواحهم أبدانهم لقابل الموتى بما يناسبهم كأن يقال: إنما يستجيب الأحياء: أي الذين لم تفارق أرواحهم أبدانهم، وكقوله تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) ينظر في ذلك، تفسير الطبري، جامع البيان ١١ / ٣٤١، وابن كثير، تفسير القرآن

العظيم ٣ / ٢٥٣، وابن الجوزي، زاد المسير ٢ / ٣٢٦.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

﴿١٢٢﴾ {الأنعام: ١٢٢} فقله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا﴾: أي كافرين، فأحييناه: أي بالإيمان والهدى، وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف، وكقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {يس: ٧٠}، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ {فاطر: ٢٢} أي لا يستوي المؤمنون والكافرون .

ومن أوضح الأدلة على هذا المعنى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَ﴾ الآية، وما في معناها من الآيات كلها، تسلية له صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يحزنه عدم إيمانهم كما بينه تعالى في آيات كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ {الأنعام: ٣٣}، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ {الحجر: ٩٧}، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ {الحجر: ٩٧} وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ {المائدة: ٦٨}، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ {فاطر: ٨}، قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ {الكهف: ٦}، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ {الشعراء: ٣}، إلى غير ذلك من الآيات، ولما كان يحزنه كفرهم، وعدم إيمانهم أنزل الله

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

آيات كثيرة تسلية له صلى الله عليه وسلم بين له فيها: أنه لا قدرة له صلى الله عليه وسلم على هدى من أضله الله، فإن الهدى والإضلال بيده جل وعلا وحده وأوضح له أنه نذير، قد أتى بما عليه فأنذرهم على أكمل الوجوه وأبلغها وأن هداهم وإضلالهم بيد من خلقهم.

ومن الآيات النازلة تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ أي لا تسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا يعني ما تسمع إسماع هدى وقبول، إلا من هديناهم للإيمان بآياتنا فهم مسلمون، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ {النحل: ٣٧}، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {المائدة: ٤١} وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ {القصص: ٥٦}، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ٩٩ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾ {يونس: ٩٩ - ١٠٠} إلى غير ذلك من الآيات، ولو كان معنى الآية، وما شابهها: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾: أي

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم كما ترى.

**التفسير الثاني:** هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالمساع المنفي في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ {البقرة: ١٧١}، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع كما لم ينفي ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير الأخير دلت عليه آيات من كتاب الله جاء فيها التصريح بالكم والصمم والعمى مسندا إلى قوم يتكلمون ويسمعون ويبصرون، والمراد بصممهم صممهم عن سماع ما ينفعهم، دون غيره، فهم يسمعون غيره، وكذلك في البصر والكلام، وذلك كقوله تعالى في المنافقين: ﴿صُمُّ بُكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ {البقرة: ١٨} فقد قال فيهم صم بكم مع شدة فصاحتهم، وحلاوة ألسنتهم كما صرح به في قوله تعالى فيهم: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ {المنافقون: ٤} أي لفصاحتهم، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ {الأحزاب: ١٩}

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

{فهؤلاء الذين إن يقولوا تسمع لقولهم وإذا ذهب الخوف سلقوا المسلمون  
بأسنة حداد هم الذين قال الله فيهم ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ {البقرة : ١٨} ،  
إن صممهم وبكمهم وعماهم بالنسبة إلى شيء خاص، وهو ما ينتفع به  
من الحق، فهذا وحده هو الذي صموا عنه: فلم يسمعه، وبكموا عنه فلم  
ينطقوا به، وعموا عنه فلم يروه مع أنهم يسمعون غيره ويبصرونه،  
وينطقون به كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ  
سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ  
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ {الأحقاف: ٢٦} الآية، وهذا واضح كما ترى  
" (١).

وقال الشيخ الشعراوي: " فجعلهم في حكم الأموات، وهم أحياء يرزقون،  
لماذا؟ لأن الذي لا يفعل لما يسمع ولا يتأثر به، هو والميت سواء أو  
نقول: إن للإنسان حياتين: حياة الروح التي يستوي فيها المؤمن والكافر،  
والطائع والعاصي، وحياة المنهج والقيم، وهذه للمؤمن خاصة، والتي  
يقول الله فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا  
يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ﴾ {الأنفال: ٢٤}، فهو سبحانه يخاطبهم هذا الخطاب وهم

---

(١) الشنقيطي، أضواء البيان ٦ / ١٩١، باختصار يسير.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

أحياء، لكن المراد هنا حياة المنهج والقيم، وهي الحياة التي تورثك نعيما دائما باقيا لا يزول، خالدا لا تتركه ولا يتركك؛ لذلك يقول سبحانه عن هذه الحياة: ﴿وَابْتَ الْدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ {العنكبوت: ٦٤}؛ لذلك سمى الله المنهج الذي أنزله على رسوله روحا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ {الشورى: ٥٢}؛ لأن المنهج يعطيك حياة باقية لا تتزوي ولا تزول، وسمى الملك الذي نزل به روحا: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ {الشعراء: ١٩٣} فالمنهج روح من الله، نزل به روح من الملائكة هو جبريل عليه السلام على قلب سيدنا رسول الله ليحمله رسول مصطفى فيبثه في الناس جميعا، فيحيون الحياة الآخرة، فالكفار بهذا المعنى يحيون حياة روح القلب التي يستوي فيها جميع البشر، لكن هم أموات بالنسبة للروح الثانية، روح القيم والمنهج. لذلك، إذا كان عندنا شخص شقي أو بلطجي يفسد في المجتمع أكثر مما يصلح نقول له: أنت وجودك مثل عدمك، لماذا؟ لأن الحياة إذا لم تستغل في النافع الدائم، فلا معنى لها . وهنا يقول تعالى لنبيه: لا تحزن، ولا تذهب نفسك على هؤلاء القوم الحسرات، فهم موتى لم يقبلوا روح المنهج وروح القيم، وما داموا لم تدخلهم هذه الروح، فلا أمل في إصلاحهم، ولن يستجيبوا لك،

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فالاستجابة تأتي لمن أصغى سمعه، وأعمل عقله في الكون من حوله ليصل إلى حقيقة الحياة ولغز الوجود"<sup>(١)</sup> .

وبهذا يتبين لنا أن هذه الآية تتحدث عن الكفار الأحياء الذين يسمعون كل شيء إلا ما فيه حياة قلوبهم وإيمانهم وكل ما يقربهم إلى ربهم، وأن السماع المنفي عن الموتى في قبورهم هو السماع الذي ينتفع به صاحبه لا مطلق السماع.

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي ص ٧٢٠٥.

**الشبهة الثالثة: قولهم إن الحساب والعقاب على الأعمال إنما يكون**

**يوم القيامة وليس في الحياة البرزخية**

واستدلوا على هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُورِ﴾ {آل عمران: ١٨٥}، وقالوا: إن الحياة البرزخية إنما هي مرحلة فاصلة بين الحياة الدنيا والآخرة، ولا يجري فيها للناس لا نعيم ولا عذابا، قال: صاحب المنار "واستدل بهذه الآية من ينكر عذاب القبر ونعيمه" <sup>(١)</sup>، وللرد على هذه الشبهة نقول: إن هذه الآية تثبت وجود الحياة البرزخية في القبور ولا تنفيها؛ لأن كلمة ﴿تُوَفَّقُ﴾ تشعر أن هناك نعيم أو عذاب قد حصل للناس في حياتهم البرزخية في قبورهم قبل يوم القيامة، وأن توفية الحساب واستكمالها إنما يكون يوم القيامة، ولم يذكر الله تعالى ذلك في كتابة؛ لقصر تلك الفترة مقارنة بالحياة في اليوم الآخر، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من أهل التفسير، وقال الإمام الألوسي: "وفي لفظ "التوفية" إشارة إلى أن بعض أجورهم من خير أو شر تصل إليهم قبل ذلك اليوم، ويؤيده ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال " القبر روضة من رياض

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٢٢



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الجنة أو حفرة من حفر النيران" <sup>(١)</sup> وقيل: النكتة في ذلك أنه قد يقع الجزاء ببعض الأعمال في الدنيا، ولعل من ينكر عذاب القبر تتعين عنده هذه النكتة" <sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الشوكاني قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾  
أجر المؤمن: الثواب، وأجر الكافر: العقاب، أي: أن توفية الأجور،  
وتكملها إنما تكون في ذلك اليوم، وما يقع من الأجور في الدنيا، أو في  
البرزخ ، فإنما هو بعض الأجور" <sup>(٣)</sup>.

---

(١) سنن الترمذي برقم (٤٣٧)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وينظر: محمد ناصر الدين الألباني ضعيف الجامع الصغير وزيادته، برقم (١٢٣١).

(٢) الألوسي، روح المعاني ٣ / ٣٤٧، وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي ص ١٣١٣.  
(٣) الشوكاني، فتح القدير ٢ / ٦٢، ، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٠٢، مرجع سابق.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

**الشبهة الرابعة: وصف الله أهل القبور بأنهم رقود، وهذا يقتضي أنهم لا يعذبون ولا ينعمون.**

واستدلوا لهذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثِنَا مِنْ مَرْقَدٍ ۚ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ {يس: ٥٢}، حيث قالوا: إن الله تعالى أخبر عن أهل القبور حال بعثهم من قبورهم أنهم كانوا في حالة رقاد ونوم، وهذا يقتضي أنهم في قبورهم لا يعذبون ولا ينعمون، وفي الآية دليل على أنهم لم يكونوا معذبين قبل ذلك <sup>(١)</sup> وللدلالة على هذه الشبهة نقول لهم: إن الإنسان يدخل الحياة البرزخية، بمجرد موته، ثم تبدأ حياته البرزخية من نعيم أو عذاب بحسب أعماله التي عملها في الدنيا، وتستمر حياته البرزخية إلى قيام الساعة، وبالتحديد إلى أن يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى في الصور، وعندها تموت جميع الخلائق إلا من شاء الله تعالى، وبعد ذلك تنام الخلائق في قبورها إلى أن يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الثانية في الصور، فقد ثبت من حديث أبي هريرة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: " بين النفختين أربعون " قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت <sup>(٢)</sup> وعندما يستيقظ الناس من نومتهم ويخرجون

---

(١) نعمان بن محمود الألويسي، الآيات البينات في عدم سماع الأموات ص ٩٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٥٥٤، ومسلم، صحيح ومسلم برقم (٥٢٥٣)، قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: معنى قوله: " أبيت " أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

من قبورهم، وعندها يقولون هذا الكلام الذي حكاه الله عنهم أنهم يقولون ﴿يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ؟ يعنون: من قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبه في محشرهم ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، وقال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك بين النفختين" <sup>(١)</sup>، وقال الإمام القرطبي: "فإن قيل: كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم؟ قال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة (أي ناموا نومة) إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم ﴿يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ وقال ابن عباس وقتادة و أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم، قال مجاهد: فقال لهم المؤمنون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾، قال قتادة: فقال لهم من هدى الله ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾، وقال الفراء: فقال

---

سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة، شرح صحيح مسلم، للنووي ٩ / ٣٤٣.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦ / ٥٨١، وينظر: الرازي مفاتيح الغيب ١٣ / ٦٤.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

لهم الملائكة: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ وقال النحاس: وهذه الأقوال متفقة؛ لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله عز وجل" (١)  
وقال الشيخ الشنقيطي: "والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل على دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٥٢) أي هذا البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على السنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عياناً" (٢).

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٩، باختصار يسبر، وينظر: الشوكاني، فتح القدير ، ٦ / ١٧٠.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان ٦ / ٢٧١.

### المطلب الثاني: المعتزلة، وشبهاتهم في إنكار النعيم والعذاب في

#### الحياة البرزخية

تابعت المعتزلة<sup>(١)</sup> الخوارج في إنكار الحياة البرزخية وما فيها من نعيم وعذاب في القبر، قال الإمام ابن حزم: ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر وذهب بشر بن المعتمر وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر: "وذهب بعض المعتزلة كالجاني إلى أنه (أي عذاب القبر) يقع على الكفار دون المؤمنين"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت الخوارج تعتمد في إنكارهم للحياة البرزخية على شبهات عقلية، فإن المعتزلة اعتمدوا في إنكارهم للحياة البرزخية على شبهات عقلية، وردوا كل الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وقالوا: إن العقل لا يقبلها ولا يتصورها، وهم بقولهم هذا وافقوا أهل الزندقة والإلحاد، قال العلامة ابن القيم: "وأنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وضيقه

---

(١) المعتزلة : سمو بذلك لما اعتزلوا الجماعة ، بعد موت الحسن البصري رحمه الله ، في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ، ينظر : العقيدة الطحاوية ، لعلي بن أبي العز الحنفي ص ٥٢٤ ، مرجع سابق.

(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١/٤ ، باختصار.

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ٤/ ٤٤٣ .

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وسعته، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره، قالوا: وقد وضعنا على صدر الميت زئبقا ثم كشفنا عليه فوجدناه بحاله، قالوا ولم نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا حيات ولا عقارب، ولا نيرانا، وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال والإفك والاعتزال: كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله، وأكثر أهل الاعتزال والبدع والضلال من مثل هذا الهذيان والزور والبهتان<sup>(١)</sup>.

### المعتزلة يقدسون العقل

تقدس المعتزلة العقل وتقدمه على النقل، وتُحكِّمه في الأمور الغيبية، فما أدركه العقل واستوعبه قالوا به، وما رده العقل ولم يستوعبه ردوه، ولو كان نصا صحيحا وصريحا، قال القاضي عبد الجبار - وهو رأس المعتزلة في عصره - إن " الأدلة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تتال إلا بحجة العقل " <sup>(٢)</sup>، فجعلوا أول الأدلة عندهم العقل وقدموه على الكتاب والسنة وغيرهما من الأدلة..!!، وقال النظام - وهو من شيوخ المعتزلة في زمانه -: " إن المكلف - قبل ورود

---

(١) ابن القيم، الروح ص ٨٦.

(٢) القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة ص ٨٨.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

السمع - إذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة  
الباري تعالى بالنظر والاستدلال " (١).

ولنا وقفه مع المعتزلة - ومن وافقهم في منهجهم هذا - فنقول لهم: إن  
الناس مع العقل طرفان ووسط، فطرف عظموه وقدسوه وجعلوه حاكما  
على النصوص، فإن وافق النص العقل قبل وإلا فلا، فإن كان نصا  
قرآنيا خالف عقولهم أولوه وصرفوه عن معناه الحق، وإن كان نبويا  
صحيحا ووجدوا له مخرجا أولوه وإن لم يستطيعوا لذلك سبيلا طعنوا فيه  
وردوه، كذا دون اعتبار للقواعد والأصول الشرعية في التعامل مع  
النصوص، وطرف عطلوا عقولهم عن العمل ولم يعملوها في النظر في  
آيات الله المسطورة والمنظورة، والوسط هم الذين استضاءوا بنور القرآن  
فأعملوا عقولهم فيما أمروا به من النظر والاعتبار والتدبر والتفكر، قال  
تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ {الزخرف: ٣}، وقال  
تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ {٦١} {  
النور: ٦١}، وقال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى  
وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ {البقرة: ٧٣} وقال تعالى: ﴿ وَلَا  
تَقُولُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ ﴾ {الأنعام: ١٥١}، وغير ذلك من النصوص التي تحت العقل

(١) ابن حزم، الملل والنحل ٦٠/١.

على النظر والتفكر، وهؤلاء هم أسعد الناس؛ لأنهم أعطوا العقل حقه وقدره قدره فلم يغفلوا فيه ولم يجفوا عنه، فأعملوا عقولهم في النظر في أمور المعاش، وفي أمور الدين التي تستوجب النظر ولم يتجاوزا بذلك ما حدد لهم؛ وهم لما أوقفوها لم يكن بسبب عجزهم عن النظر والإتيان بالمقدمات والنتائج، أو قصورا في بيانهم، كل ذلك لا يصح؛ بل أيقنوا أن للعقل حدودا متى ما جاوزها ضل عن صراطه المستقيم وأتى بالطوام والعجائب، فصانوا عقولهم لتصح عقائدهم، فلم يتكلموا في ذات الإله إلا بما ورد إليهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يعارضوا بعقولهم كتاب ربهم وسنة نبيهم، وإذا أعياهم فهم نص لم يحملوه ما لا يحتمل، ولم يؤولونه أو يردونه بزعم مخالفته للعقل، بل يتهمون عقولهم، وما كان مجهولا عند رجل يكون معلوما عند آخر، فالنقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن العجب: أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد ليسوا أهل نظر واستدلال وأنهم ينكرون حجة العقل، وربما حكي إنكار النظر عن بعض أئمة السنة وهذا مما ينكرونه عليهم، فيقال لهم: ليس هذا بحق، فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن هذا أصل متفق عليه بينهم، والله قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكر والتدبر في غير آية ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك بل كلهم متفقون على



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الأمر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر والاعتبار والتدبر وغير ذلك" (١)

فإذا قدمنا العقل على النقل، فأبي عقل نقدم فعقول البشر مختلفة ومتفاوتة، وأهواء الناس ورغباتهم بعدد عقولهم التي في رؤوسهم، فلا يمكن ضبط هذه المسألة إلا عن طريق الوحي المعصوم، وجعل العقل تابعاً له لا حاكماً عليه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: إنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: "أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء!" (٢)

وقال تلميذه ابن القيم: "فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحطت حيث حطها الله وأصحابها" (٣).

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٦/٤.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٧ / ١.

(٣) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة ٧٩١ / ٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وللمعتزلة تأثير كبير فيمن جاء بعدهم ممن تتلمذوا على كتبهم واتبعوا منهجهم في الاستدلال، وهم من يعرفوا في عصرنا بأصحاب المدرسة العقلية، وقد وضع بذور هذه المدرسة في العصر الحديث جمال الدين الأفغاني، وتولى رعايتها وسقيها حتى أثمرت وأينعت الأستاذ محمد عبده، وقد سار على نفس طريق المعتزلة القدماء في تمجيدهم للعقل وتقديمه على النقل، وأنه هو المميز بين الحق والباطل حيث قال: " ورفع القرآن من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي إليه أمر السعادة ! والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع "(١).

ومن هذه القضايا التي أعملت فيها المعتزلة وأصحاب المدرسة العقلية عقولهم الحياة البرزخية، حيث أنكروها، وما فيها من نعيم أو عذاب في القبر، والسبب في ذلك أنهم قدموا العقل على النقل، وحكموا عقولهم في أمور الغيب، وهذا الأمر جعلهم يؤولون نصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك أو يردونها. وتعتمد المعتزلة في إنكارها للحياة البرزخية على جملة من الشبهات ومن أبرز هذه الشبهات أربع شبهات نتناولها على النحو التالي:

---

(١) محمد عبده، رسالة التوحيد، ص ٢١.

### الشبهة الأولى: قولهم إن الحياة البرزخية لا يمكن تصورها بالعقول

وأصل هذه الشبهة أن أصحابها حكّموا عقولهم الكليّة في أمور الغيب التي لا تُحيط العقول بأسرارها، ولا يمكن معرفة ذلك إلا عن طريق الوحي المعصوم، وقد أجاب الإمام ابن القيم على هذه الشبهة قائلاً: "كل ما يُظنُّ أن العقل يحيله فلا خلو من أحد أمرين: إما خطأ في النقل، أو خبل في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها أنها أمر عقلي صريح، والحال أنه خيال وهمي غير صحيح، كما قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ {سبأ: ٦}، وأما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزدادون إلا رجسا إلى رجسهم، وسر المسألة أن توسعة القبر وضيقه وإضاءته وخضرته وناره وحياته وعقاره ليس من جنس المعهود في هذا العالم والمولى الحكيم إنما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها، وأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل الله عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببا لسعادتهم، ولو كُشِفَ عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفانت نتيجة الإيمان بالغيب وما يترتب على ذلك من جزيل الثواب، والحاصل أن كلما أخبر به الصادق المصدق وجب الإيمان به.

فالنار التي في القبر ليست من جنس نار الدنيا، فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وإنما هي من نار الآخرة، فهي وإن كانت أشد من نار الدنيا

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

إلا إن شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الميتان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونعيم والآخر في حفرة وعذاب أليم وفي قدرة الحكيم المالك أعظم وأعجب من ذلك وإن كان الضالون لا يشعرون حتى أنه تعالى يحدث في هذا الدار ما يدل على ذلك بل وأعجب من ذلك، فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جنب النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يراه ولا يسمع كلامه وكذلك غيره من الأنبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم.

والحق جل شأنه حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الأرض فكان جبريل يدارس النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن والحاضرون لا يسمعون، وكيف يَسْتَتَكِر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها فالعبد أضعف بصرا وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وقد أشهد الله تعالى ذلك بعض عباده فغشي عليهم ولم ينتفعوا بالعيش زمانا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وقد تواتر عن ذلك ولم تحله العقول بل هو داخل في حيز الإمكان وما كان كذلك فإنكاره إلحاد. ولهذا قال سيدنا الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه: "عذاب القبر حق" (١) لا ينكره إلا ضال" (٢).

ويقال لهؤلاء: إن مما استقر في عقيدة المسلمين أن من أصول الإيمان، الإيمان بالغيب، والحياة البرزخية من الغيب الذي يجب الإيمان به ولا مجال لإعمال العقل في ذلك، وإنكارها بدعوى أنه لا يمكن تصورها بالعقل، أو المجرد عدم مشاهدتها أو الإحساس بها، هو فتح لباب جحود الغيب على مصراعيه لعوالم الغيب الأخرى التي لا تُرى ولا تُشاهد، فالملائكة تطوف حولنا وتكتب حسناتنا وسيئاتنا ولا نراها ومع ذلك نؤمن بها، وكذلك الجن، فهل يعد عدم رؤيتنا لذلك مبررا لإنكارها، الجواب: قطعاً لا.

---

(١) وقد جاء في هذا المعنى حديث صحيح، فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استجيروا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق" في صحيح الجامع برقم (٩٣٢).

(٢) ابن القيم ، الروح، مرجع سابق، بتصرف واختصار من ص ٦١.

**الشبهة الثانية: قولهم إن الميت قد لا يدفن في قبر فكيف يعذب في قبره وهو لم يدفن فيه أصلاً؟.**

ويقولون فيها: إنه قد تتنوع أسباب الوفاة للإنسان في هذه الحيا ولا يدفن الإنسان في قبر، فقد يموت الإنسان غريقاً في بحر ما، وقد يقتل ويصلب جسده على خشبة على وجه الأرض، وقد تفترس الإنسان السباع وتأكل بقاياها الطير ويتفرق جسده بين كل هذه المخلوقات، أو قد تكون وفاته بأي طريقة من الطرق الأخرى، وبالتالي لا يدفن في قبر، فكيف سيعذب في قبره وهو لم يدفن فيه أصلاً؟

وللجواب على هذه الشبهة قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "وأما إنكار من ينكر عذاب القبر بحجة أن من أحرق أو أكلته السباع لا يمكن تعذيبه، فإنه أمر لا ينبغي اعتباره في مقابلة النصوص الثابتة، إذ أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعذب الميت ويحاسبه في أي صورة كان؛ فإن التعذيب ليس على الجسد المعهود فقط فإذا ذهب انتهى عذابه، وإنما الروح هو الذي يعذب أو ينعم في القبر قبل يوم القيامة، ولا مانع في قدرة الله أن يصل العذاب إلى الجسد بأي طريقة وعلى أي نحو كان، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

عليه وسلم - في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً<sup>(١)</sup> ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، ذلك أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح، والأجساد جميعاً " (٢)

وقال العلامة ابن القيم: " المصلوب والمحرق، والغريق، وأكيل السباع والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل، أنه إذا حرق جسده بالنار، وصار رماداً، وذرى بعضه في البحر، وبعضه في البر، في يوم شديد الريح، أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به

---

(١) ومما ورد في عذاب القبر حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبانا وما يعذبان في كبير أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله"، ثم دعا بجريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا" صحيح البخاري برقم (٢١١)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٩).

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٠٥، باختصار.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال خشيتك يارب، وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه <sup>(١)</sup>، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار، أو في مهاب الرياح، لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه، ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار، لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما، والهواء على هذا نارا وسموما فعناصر العلم ومواده منقادة لربها، وفاطرها، وخالقها، يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيئته، مذلة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته <sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الغزالي - رحمه الله - : "وأما الذي تأكله السباع فغاية ما في

---

(١٤) يشير إلى حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن رجلا كان قبلكم رغبه الله مالا فقال لبنيه لما حضر أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته" رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٢١٩)، ومعنى: "رغبه الله مالا" أي أكثر له منه ونماه له، غريب الحديث، لابن الجوزي ٤٠٣/١.

(٢) الروح ، لابن القيم ص ٧٣.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الباب أن يكون بطن السبع قبراً، فإعادة الحياة إلى جزء يدرك العذاب ممكن، فما كل متألم يدرك الألم من جميع بدنه، وعذاب القبر قد دلت عليه قواطع الشرع، وهو ممكن، فيجب التصديق به، ووجه إمكانه ظاهر، وإنما تنكره المعتزلة من حيث يقولون: إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب وإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله، وهذا هوس. <sup>(١)</sup>

فالدفن في القبر ليس شرطاً لحصول النعيم أو العذاب في القبور، فقبر كل ميت مكانه الذي مات فيه، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يعذب أو ينعم من مات محروقاً، أو مات مأكولاً أو مات غريقاً أو صلب في الأرض، ولو لم يدفن في قبر من القبور، فالله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

---

(١) أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١١، باختصار وتصرف.

**الشبهة الثالثة: قولهم إنا قد نفتح القبر فلا نجد آثار العذاب على**

**الميت، ولا نجد ملائكة العذاب في القبر**

وهذه الشبهة مبناها على عدم رؤية آثار النعيم أو العذاب على أهل القبور، إذا تم فتح قبور بعضهم بعد وفاتهم، وعدم سماع أصواتهم حال تعذيبهم في القبور، وكذلك عدم رؤية ملائكة العذاب في القبر<sup>(١)</sup>، وللجواب على هذه الشبهة قال الأمام الغزالي - رحمه الله -: " أما قول القائل: إنا نرى الميت ولا نسمع صوته أثناء تعذيبه، ولا نشاهد ملائكة العذاب في القبور، ولا نسمع صوتيهما في السؤال الميت في القبر، فالجواب: ليس من ضرورة العذاب ظهور آثاره في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته لمن لم يجر له عهد بالنوم لبادر إلى إنكار ذلك؛ اغترار بسكون ظاهر جسمه، كمشاهدة إنكار المعتزلة لعذاب القبر، فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقة بالإضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما

---

(١) يُقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اسم الملكين الذين يأتیان في القبر منكر ونكير، ينظر: مجمع الزوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي برقم (٤٢٨٠).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

ففيهما من العجائب، والسبب الذي ينفر طباع أهل الضلال عن التصديق بهذه الأمور بعينه منفر عن التصديق بخلق الانسان من نطفة قدرة مع ما فيه من العجائب والآيات أو لأن المشاهدة تضطره إلى التصديق، فإذن ما لا برهان على إحالته لا ينبغي أن ينكر بمجرد الاستبعاد.

ويلزم منها أن ينكر مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وسماعه كلامه وسماع جبريل جوابه ولا يستطيع مصدق الشرع أن ينكر ذلك، إذ ليس فيه إلا أن الله تعالى خلق له سماعا لذلك الصوت ومشاهدة لذلك الشخص، ولم يخلق للحاضرين عنده ولا لعائشة رضي الله تعالى عنها وقد كانت تكون عنده حاضرة في وقت ظهور بركات الوحي، فإنكار هذا مصدره الإلحاد وإنكار سعة القدرة، وقد فرغنا عن إبطاله.<sup>(١)</sup>

ويمكن أن يُجاب عنهم: بأن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت في قبره، ولا مشاهدة ملائكة العذاب في القبور، شفقة بنا لنلا نترك دفن موتانا، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"<sup>(٢)</sup>

---

(١) أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١١، باختصار وتصرف.

(٢) صحيح مسلم برقم (٥١١٢).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

وأنا نرى اليوم من طرق التعذيب أنواعا مختلفة لا تترك آثارا في الجسد كالتعذيب الكهربائي مثلا، والتي تسرى في جسد الإنسان ويتألم بها ولا يشاهدها أو يشعر بها من في جواره ومثله التعذيب النفسي، وهي أنواع من التعذيب ربما تكون أقسى من تلك التي تشاهدها الناس تترك آثارا في جسد الشخص المعذب.

وأما سؤال الملكين للميت في قبره، فيجب الإيمان بذلك واعتقاد حصول؛ لأن الشرع قد ورد بالمساءلة للميت في قبره من قبل الملكين، ولا يصح التكلم في كيفية حصول تلك المساءلة للميت؛ لأننا لم نعهد مثلها في حياتنا الدنيا.

الشبهة الرابعة: قولهم إن الأحاديث التي ذكرت الحياة البرزخية

أحاديث آحاد، وهم لا يعملون بها في باب العقائد

لما كانت المعتزلة تنكر الحياة البرزخية، وكانت أكثر أحاديث حياة البرزخ جاءت قد جاءت عن طريق أحاديث الآحاد، اضطر المعتزلة إلى إنكار حجية خبر الواحد، وقالوا: إنها أخبار ظنية لا يجوز الاحتجاج بها في المسائل العقائدية القطعية، فردوا لأجل ذلك أحاديث الآحاد! . قال أبو الحسين البصري المعتزلي: "إن أخبار الآحاد لا يجوز قبولها في توحيد الله وعدله، ولا في الاعتقادات؛ لأنها تفيد الظن، لا يجوز الاختصار في التوحيد والعدل على الظن دون العلم"<sup>(١)</sup>.

وقال عبد القاهر البغدادي، قال أبو الهذيل العلاف -أحد رموز المعتزلة-: "إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الله الأنبياء عليهم السلام، وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفساً، فيهم واحد من أهل الجنة، أو أكثر وأن خبر دون الأربعة لا يوجب حكماً، ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لا يقع العلم بخبرهم، وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة"، وعلق عبد القاهر على ذلك

---

(١) محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي، المعتمد في أصول الفقه ٢/

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

: " ما أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين في الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها" (١)

وممن قال برد أحاديث الآحاد في باب العقائد، من تيار العقلانيين الجدد رشيد رضا، حيث قال: "وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى، من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية؛ لأنه من رواية الآحاد ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ {النجم: ٢٨}، كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا (٢) .

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم إذا صح الخبر عندهم قبلوه وعملوا به مطلقا، ولا فرق عندهم بين المتواتر والآحاد وسواء أكانت هذه الأحاديث متعلقة بالأحكام أو بالعقائد.

قال أبو المظفر السمعاني: "إن الخبر إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الأئمة الثقات، وأسندته خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله

---

(١) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٢٧.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣ / ٢٤٠.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

العلم، هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعه القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصف الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد" (١)

قال ابن حزم: "إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، يجري ذلك على كل فرقة... حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ، فخالفوا الإجماع في ذلك" (٢).

وقال الإمام القرطبي: "قبول خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف، معلوم بالتواتر، ومن عادة النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته، ورسله، آحادا للأفاق، ليعلموا الناس دينهم، فيبلغوهم سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم، من الأوامر والنواهي" (٣).

---

(١) أبي المظفر السمعاني، رسالة الانتصار لأهل السنة ص ٢٣.

(٢) ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام ١ / ١٠٨، باختصار يسير.

(٣) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن ٢ / ١٥٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

روى البيهقي عن إسحاق بن راهويه قال: "دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة، فقلت: أيها الأمير: إن الله تعالى بعث إلينا نبيا نقل إلينا عنه أخبارا، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صحت ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك، قال: فأمسك عبد الله" (١)

قال حنبل قلت لأبي عبد الله الإمام أحمد ابن حنبل في عذاب القبر فقال: "هذه أحاديث صحاح تؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إسناده جيد أقررنا به، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ردنا على الله أمره قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ {الحشر: ٧}، قلت وعذاب القبر حق. قال: حق يعذبون في القبور، لا ينكره إلا ضال مضل" (٢)

وقال الإمام الشوكاني: "ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من

---

(١) أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات المؤلف ٢ / ٣٧٥.

(٢) محمد بن أحمد بن السفاريني، لوايح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف ٢ / ٢٣.



## حياة البرزخ في القرآن الكريم

المعلوم صدقه وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له" (١)

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله-: "إن السنة العملية التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حياته وبعد وفاته تدل أيضا دلالة قاطعة على عدم التفريق بين حديث الآحاد في العقيدة والأحكام وأنه حجة قائمة في كل ذلك" (٢).

---

(١) الشوكاني، إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول ١/ ٢٢٨.

(٢) الألباني، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ص ٥.

### الأدلة على الاحتجاج بخبر الأحاد

وردت أدلة كثيرة تثبت صحة الاحتجاج بخبر الأحاد، وهذه الأدلة سوف نتناولها على النحو التالي:

#### أولاً : الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَنُصِيحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ {الحجرات: ٦}، قال القرطبي: وفي هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد، إذا كان عدلاً، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت، ثم نقل خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه، بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها. <sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ {التوبة: ١٢٢} <sup>(٢)</sup>، قال الإمام الرازي: " هذه الآية حجة قوية لمن يرى أن خبر الواحد حجة، فكل ثلاثة؛ فرقة، وقد أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة، والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحداً،

(١) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن ٣١٢/١٦، وينظر: الألويسي، روح المعاني ١٩ / ٢٦٦.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

فوجب أن يكون الطائفة إما اثنين وإما واحدا، ثم إنه تعالى أوجب العمل بأخبارهم لأن قوله: ﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ عبارة عن أخبارهم، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢) إيجاب على قومهم أن يعلموا بأخبارهم، وذلك يقتضي أن يكون خبر الواحد أو الاثنين حجة في الشرع<sup>(١)</sup>، وغيرها من الآيات، التي تبين وتوضح، حجية خبر الواحد .

### ثانيا : الأدلة من السنة

ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم، على من بلغ العلم ونشره، وهو شخص واحد، فعن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه" (٢)

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن، داعيا، ومعلما كان واحدا، عن ابن عباس ، يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل، إلى نحو أهل اليمن ، قال له: " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا ، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ٨ / ١٨٣ .

(٢) الألباني، صحيح سنن أبي داود ٢ / ٦٩٧

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

في أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقرؤا بذلك ، فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس<sup>(١)</sup> .

### ثالثا : الأدلة من أقوال الصحابة

قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، كانت عن طريق خبر نقله واحد من المسلمين .

عن ابن عمر، قال : بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى القبلة<sup>(٢)</sup>

قصة تحريم الخمر، تمت عن طريق خبر الواحد، فعن أنس بن مالك قال كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شربهم إلا الفضيخ البسر والتمر فإذا مناد ينادي فقال اخرج فانظر فخرجت فإذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال لي أبو طلحة اخرج فاهرقها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم قتل فلان قتل فلان وهي في بطونهم قال فلا أدري هو من حديث أنس فأُنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٦٥)، صحيح ومسلم برقم (٢٨) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٣٤).

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ {المائدة: ٩٣} (١).

ويمكن إجمال الردود العقلية على منكري الحياة البرزخية بشبهتهم العقلية، بالوجوه التالية: **الوجه الأول:** مما استقر في عقيدة المسلمين أن من أصول الإيمان، الإيمان بالغيب، والحياة البرزخية من الغيب الذي يجب الإيمان به، وإنكارها بدعوى عدم مشاهدتها أو الإحساس بها، هو فتح لباب جحود الغيب على مصراعيه، فالملائكة تطوف حولنا وتكتب حسناتنا وسيئاتنا ولا نراها ومع ذلك نؤمن بها، وكذلك الجن، فهل يعد عدم رؤيتنا لذلك مبررا لإنكار تلك الغيبات. **الوجه الثاني:** أن عدم رؤيتنا لما يحصل للميت في حياته البرزخية، لا يعني عدم وجودها فقدرة الله ليس لها حدود، فهو قادر سبحانه على أن يعذب أو ينعم من مات محروقا، أو مات مأكولا، فانه لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير **الوجه الثالث:** أن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت شفقة بنا لئلا نترك دفن موتانا، فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر " (٢) **الوجه الرابع:** أننا نرى اليوم من طرق التعذيب أنواعا مختلفة لا تترك آثارا في

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣٦٦٢)

(٢) صحيح مسلم برقم (٥١١٢)، مرجع سابق.

## حياة البرزخ في القرآن الكريم

الجسد كالتعذيب الكهربائي مثلا أو التعذيب النفسي، وهي أنواع من التعذيب ربما تكون أقسى من تلك التي تترك ندوبا في الجسد وآثارا.

## الفهرس

الاستهلال .....	٣
الاهداء .....	٤
المقدمة.....	٥
التعريف بمصطلحات الكتاب .....	٩
عقيدة أهل السنة والجماعة في الحياة البرزخية.....	١٢
أحاديث نبوية دالة على عذاب القبر في الحياة البرزخية... ..	١٦
أحاديث نبوية دالة على السؤال في القبر في الحياة البرزخية .....	١٩
نعيم القبر وعذابه، هل يقع على الروح والبدن، أم على أحدهما؟ ..	٢٥
<b>المبحث الأول: من أسباب عذاب القبر في الحياة البرزخية ...</b>	<b>٣٣</b>
السبب الأول: الكفر بالله تعالى.....	٣٣
السبب الثاني: الاعراض عن ذكر الله تعالى.....	٣٨
السبب الثالث: النفاق.....	٥٦
السبب الرابع: الذنوب والخطايا.....	٥٠
السبب الخامس: الظلم.....	٥٥
السبب السادس: الفسق.....	٦٣
السبب السابع: جملة من الاعمال السيئة.....	٧١

**المبحث الثاني: أسباب النجاة من عذاب القبر في الحياة البرزخية**

- السبب الأول: الايمان بالله تعالى..... ٧٤
- السبب الثاني: الشهادة في سبيل الله ..... ٨٥
- السبب الثالث: جملة من الاعمال الصالحة..... ٩٤
- السبب الرابع: قراءة سورة الملك..... ٩٧

**المبحث الثالث: الفرق المنكرة للنعيم والعذاب في الحياة**

- البرزخية، شبهات وردود ..... ٩٩**
- المطلب الأول: الخوارج، وشبهاتهم في إنكار النعيم والعذاب الحياة البرزخية ..... ١٠٣
- الشبهة الأولى: ذكر الله حياتين وموتتين للناس ولم يذكر الحياة البرزخية..... ١٠٦
- الشبهة الثانية: لو كانت في القبر حياة، لما نفى الله عن الموتى سماع الأصوات ..... ١١١
- الشبهة الثالثة: قولهم إن الحساب والعقاب على الأعمال إنما يكون يوم القيامة وليس في الحياة البرزخية ... ١٢١
- الشبهة الرابعة: وصف الله أهل القبور بأنهم رقود، وهذا يقتضي أنهم لا يعذبون ولا ينعمون..... ١٢٣



المطلب الثاني: المعتزلة، وشبهاتهم في إنكار النعيم والعذاب في

الحياة البرزخية.... ١٢٦

المعتزلة يقدسون العقل..... ١٢٧

الشبهة الأولى: قولهم إن الحياة البرزخية لا يمكن تصورها بالعقول ١٣٢

الشبهة الثانية: قولهم إن الميت قد لا يدفن في قبر فكيف يعذب في

قبره وهو لم يدفن فيه أصلاً؟..... ١٣٥

الشبهة الثالثة: قولهم إننا قد نفتح القبر فلا نجد آثار العذاب على

الميت، ولا نجد ملائكة العذاب في القبر..... ١٣٩

الشبهة الرابعة: قولهم إن الأحاديث التي ذكرت الحياة البرزخية أحاديث

آحاد، وهم لا يعملون بها في باب العقائد..... ١٤١

الأدلة على الاحتجاج بخبر الآحاد ..... ١٤٧

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم ..... ١٤٧

ثانياً: الأدلة من السنة..... ١٤٨

ثالثاً : الأدلة من أقوال الصحابة..... ١٤٩